

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر-بسكرة -



كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

المتكلم والسامع في البلاغة العربية

-دراسة تداولية لأشكال التعلق الوظيفي بينهما-

مُذَكِّرَةٌ مُقَدِّمَةٌ لِنَيْلِ شَهَادَةِ الماستر في الآداب واللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ
تَخَصُّصٌ: علوم اللسان

إشراف الأستاذ:
باديس لهويمل

إعداد الطالبة:
إيمان تومي

السنة الجامعية: 1436-1437هـ
2015-2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ
الَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ
الَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ

قال تعالى:

﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ

رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٠١﴾

إبراهيم الآية: 01

شكر و عرفان

أتوجه بالشكر والامتنان الى من أعانني على شق طريقي في هذا

البحث وأفادني بنصائحه الثمينة الغالية

الأستاذ "باديس لهويمان"

وأقدم بالشكر أيضا الى كل من قدم لي يد المساعدة خلال مرحلة

إعدادي للبحث.

كما أشكر لجنة المناقشة الموقرة على موافقتها مناقشة الرسالة

ونقدها وتقويمها.

مقدمة

يتم التواصل الإنساني بين المتخاطبين من خلال تفاعلهم في الحوار؛ أي تبادل الأدوار بين المتكلم والسامع، فتجمعهما بنية تخاطبية وسياق، فالقائل يحتاج التلفظ بهذه الجملة أو تلك وفق مقاصده التواصلية، خاضعا لبنية معينة، والمستمع يؤول الأقوال بحسب السياقات الواردة فيها و يكون نجاح التواصل رهنا بما يتبادله كل من القائل والمستمع من اعتقادات و رغبات ومقاصد في بنية تخاطبية معينة.

وفي هذا الصدد تظهر النظرية التداولية التي تهدف إلى تناول الخطابات اللغوية و دراستها، ولعل المزية التي تحملها التداولية هي إيلاء أهمية كبرى لأقطاب العملية التواصلية (متكلم و سامع و خطاب و سياق) فاهتمت بالمتكلم ومقاصده بوصفه عنصرا فاعلا في عملية التواصل ومنحت أهمية للظروف السياقية بوصفها عناصر مساعدة في تأدية هذه المقاصد وعولت كثيرا على استغلال المستمع للظروف السياقية في سبيل الوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم وهذا ما نجده متجليا في ميدان البلاغة العربية و التي تتقاطع في الكثير من قضاياها مع التداولية فكلاهما يهتمان بالعملية التواصلية ممثلة بأقطابها، و لعل أهمها "المتكلم و السامع" فهما الأساس فيها و لولاها لما كان للعملية التواصلية وجود. و هذا ما شدني ودفعني للبحث في هذا الموضوع، إضافة إلى ذلك:

__ أهمية الموضوع في ضبط المعنى وارتباطه بطرفي العملية التواصلية.

__ حب الإطلاع والمعرفة نظرا لأنه لم تكن لدي أي معرفة سابقة بالتداولية لذا سعيت جاهدة لكشف أغوارها وإلى بيان مدى تجليها في البلاغة العربية، ومما دفعني للموضوع أيضا طبيعة الدراسة، فالدراسات التي يعتمد فيها الباحث العودة من الحديث إلى القديم ويسعى فيها إلى استحضار القديم و إحيائه من خلال الاستضاءة باللسانيات الحديثة تجعل هذه النوعية من الدراسات الطالب أكثر تشوقا وتعلقا بموضوعه .

ولهذا كان موضوع بحثي موسوما بـ: المتكلم و السامع في البلاغة العربية – دراسة تداولية لأشكال التعلق الوظيفي بينهما - والذي نعالج من خلاله الإشكالية الآتية: إلى أي مدى يمكن إبراز الأبعاد التداولية التي تعنى بالمتكلم والسامع في البلاغة العربية وهي إشكالية عامة تنفرع منها جملة من التساؤلات :

- ما هي التداولية؟ و ما علاقتها بالبلاغة العربية؟

- ما هي العلاقة القائمة بين العملية التواصلية و البلاغة العربية؟
- ما هي الأبعاد التداولية التي تتجلى ضمن علوم البلاغة العربية ؟
أما أهداف الموضوع فمن الضروري أن يكون لكل بحث علمي أهدافه التي يسعى الباحث إلى تحقيقها من خلال بحثه ، و لعل أهم هذه الأهداف هي : رصد و دراسة تجليات دورة التخاطب بجميع أقطابها ، و الوقوف على أسرار التداولية التي تختفي في ثنايا أبواب البلاغة ، و المتمثلة في (القصديّة، وأفعال الكلام، والسياق، والحجاج).
وللإجابة عن الإشكالية المطروحة ولتحقيق الأهداف المذكورة أعلاه قمنا باتباع الخطة الآتية :

- مقدمة.

- تمهيد موجز تضمن (العلاقة بين التداولية و البلاغة العربية).
- أما الفصل الأول فكان معنوناً كالآتي: عناصر العملية التواصلية في البلاغة العربية، و اندرجت ضمنه أربعة مباحث: عالجت علاقة البلاغة بكل من المتكلم و السامع و المقام و الخطاب.

- أما الفصل الثاني ف جاء موسوماً ب: مداخل التداولية في البلاغة العربية و تضمن هو الآخر أربعة مباحث : تمثلت في بيان وجوه التقاطع بين التداولية و البلاغة العربية .

وحتى تكون الخطة ناجحة كان من الضروري اختيار المنهج المناسب لها فاتبعنا المنهج التداولي، فاعتمدناه في دراسة الدورة التخاطبية بجميع أقطابها ، و اتبعت هذا بالتحليل و كان متجلياً في تحليل عناصر التخاطب في البلاغة و التداولية.
وقد اعتمدنا مجموعة من المصادر و المراجع أهمها : دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، والبيان والتبيين للجاحظ، ومفتاح العلوم للسكاكي، ومن المراجع، البلاغة فنونها وأفنانها لفضل حسن عباس، واستراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، و التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي ، و التداولية لعيد بلبع ...

كما اعتمدنا على العديد من المراجع الأخرى التي أثرت محتوى البحث و كان لها عظيم الفائدة علينا .

وكل بحث علمي فإن بحثنا لم يخل من الصعوبات والعراقيل لعل من أبرزها:

- تداخل المادة العلمية التي تعالج الموضوع جزئيا و ضيق الوقت

- تنوع وتعدد المصطلحات في التداولية وعدم ضبطها بالشكل التام

وفي الأخير لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف

" باديس لهويمل " الذي كان لي نعم العون في إنجاز هذا البحث، كما أشكر أعضاء اللجنة

المناقشة الذين تفضلوا بالموافقة على مناقشة هذا البحث، وإلى أساتذة قسم الآداب و اللغة

العربية .

سائلة المولى عز و جل أن يحفظهم جميعا و أن يجزيهم خير الجزاء.

التمهيد:

– علاقة التداولية بالبلاغة العربية

ميز الله تعالى الإنسان بنعمة العقل دون غيره من الكائنات فاهتدى بفطرته وحاجته الطبيعية إلى الإتصال من أجل التفاهم ونقل المعلومات، وخدمة لهذه الغاية أوجد لنفسه وسائل متنوعة كانت اللّغة أرقّاهاً، وأكثرها فعالية في الإبلاغ غير أنّ استعماله لها لم يكن جزافياً وغير مضبوط، بل ظل مرتبط بنظام تكونه مجموعة من القواعد، والغاية من كل ذلك ضمان نجاح الاتصال اللّغوي¹

ولا ريب في أنّ اللّغة من أجلّ ما حبا الله بني البشر، فهي من أهم وسائل التواصل بينهم، لذلك حظيت بنصيب وافر من الاهتمام والدراسة منذ قرون مضت، ولقد ظهرت نظريات كثيرة ومتعاقبة بدءاً بدي سوسير (F.D.Saussa) وانتهاء بتشومسكي (chomesky)

«فكانت اللّسانيات تقتصر في أبحاثها على الجانب البنيوي والتوليدي، فتهمّ بدراسة مستويات اللّغة وإجراءاتها الداخلية، وكذا وصف وتفسير النظام اللّغوي ودراسة الملكة اللّسانية المتحكمة فيه»². إلى أن شهدت الساحة الفكرية بروز نظرية جديدة ولدت من رحم الفلسفة التحليلية الأمريكية. هي اللّسانيات التداولية، التي ظهرت ردّاً على اللّسانيات الوصفية التي أقصت من دراستها الجانب الحي من اللّغة، وهو الاستعمال متجلباً في الكلام حيث تدرس اللّغة أثناء استعمالها في المقامات المختلفة، وبحسب أعراض المتكلمين وأحوال المخاطبين لذا نجد البعض يطلق عليها «لسانيات الاستعمال»³، فهي تجسد الاستعمال الفعلي للغة.

ويعرّف ابن منظور التداولية في لسان العرب وتعود التداولية إلى مادة «دول»، ومنه تداولنا الأمر أخذناه بالدول، قالوا دوا اليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام: أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي: أخذته مرّة وهذه مرّة... وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى عمل هذا مرّة وهذا مرّة»⁴

1- ينظر: سامية بن يامنة: الاتصال اللّساني وألياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2012، ص 7.

2_ باديس لهويل: (التداولية والبلاغة العربية)، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2011، ع 7، ص 15

3- نعمان بوقرة: اللّسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتاب الحديث، جدار للكتاب العلمي، الأردن، ط1، 2009، ص 160.

4- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر د ط، بيروت، 1994، مادة (دول)، المجلد 11، ص 252-253.

ومنه فمعنى دول هو التحول والانتقال، ويشترك في هذه العملية أكثر من طرف، وهذا حال اللّغة التي تتحول من حال لدى المتكلم إلى حال لدى السّامع، فهي متنقلة بين الناس يتداولونها¹

أما التداولية اصطلاحاً: فتعد من أحدث الاتجاهات اللّغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللّساني الحديث والمعاصر، وتعني التداولية بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال حيث تراعي كل ما يحيط بها كالمتكلم والمخاطب، ومكان وزمان التخاطب والحاضرين أثناء الخطاب، وعلاقة المتكلم بالمخاطب، والمستوى الثقافي بينهما كي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب²

إذن يتبدّى لنا أنّ اللّسانيات التداولية تدرس اللّغة حين التلفظ بها فهي تدرس الجانب الآخر للغة وهو الكلام وكل ما يتعلق به في دورة التّواصل من متكلم وسامع وسياق التلفظ... أما الباحث مسعود صحراوي فيعرف التداولية بأنها:

«علم جديد للتواصل، يدرس الظواهر اللّغوية في مجال الاستعمال، ودمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره»³

وقد أكسبت التداولية العديد من التعريفات وهذا بناء على مجال اهتمام الباحث، فنجد محمد سالم يربطها بمعنى المتكلم ويعرفها كالآتي:

«هي دراسة المعنى التواصلي، أو معنى المرسل في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله»⁴

وهذا يعني أنها تتمثل في القدرة التي تجعل المتكلم يبلغ رسالته فيفهمها السامع فهما دقيقاً.

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت لبنان، 2004، ص 23.

2- ينظر: نفسه، ص 24.

3- مسعود صحراوي: التّداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، دار الطليعة، ط1، بيروت لبنان، 2005، ص 16.

4- محمد سالم ولد الأمين: الحجاج عند بيرلمان، وتطوره في البلاغة المعاصرة عالم الفكر، الكويت، 2000، ع الثالث، المجلد الثامن والعشرون، ص 61.

كما يرى عبد الهادي بن ظافر الشهري أن «يمكن تعريفها انطلاقاً من اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ، وأثرها في الخطاب، ومنها الإشارات بما في ذلك طرفي الخطاب وبيان دورها في تكوين الخطاب ومعناه، وقوته الانجارية»¹

ومجمل هاته التعريفات «هو أن التداولية تدرس مقاصد المتكلم والمصالح المشتركة بين المتكلم والمخاطب والأعمال اللغوية الأخرى المنجزة في السياق ذاته، والطرف الذي جرت فيه المخاطبات وتأثيراتها»².

ومنه فالتداولية هي دراسة تلك العلاقة القائمة بين طرفي الخطاب، التي تقوم على مبدأي التأثير والتأثير وتتحكم في العملية التواصلية بينهما ظروف معينة، وتسعى النظرية التداولية إلى الإجابة عن تساؤلات من النمط الآتي:

- من يتكلم؟ (المتكلم)
- مع من يتكلم؟ (المخاطب)
- ماذا نفع عندما نتكلم؟ (فعل الكلام)
- ماذا نقول عندما نتكلم؟ (مقول الكلام)
- لماذا نتكلم بهذا الشكل وليس بذاك؟؟ (صيغ الكلام)
- كيف نتكلم بشيء ونريد قول شيء آخر؟ (القصد)
- هل يمكن الاقتصار على المعنى الحرفي لفهم الكلام (مستويات المعنى)
- ما هي الاستعمالات الممكنة للغة؟ (البعد لاستعمالي للغة)³

وتعد البلاغة أحسن مجال يتناول إبراز العلاقات التداولية في البلاغة العربية فهما متقاربتان، وسر هذا التقارب أن البلاغة تعالج قوة التأثير في الآخر وكيفية إقناعه، وبيان كل مقاصده التي يهدف الباحث إلى تحقيقها، وهذه النقطة تعد من أهم مباحث التداولية التي تدريس التفاعل الإتيصالي بين الخطيب والمخاطب، وما يحدثه الفعل الكلامي من تأثير.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 22.

2- صابر الحباشة: الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقرظيني، الدار المتوسطة للنشر، ط1، تونس، 2009، ص 41.

3- قاطن جحي العنزي: التداولية في التفكير البلاغي دراسة في غرر البلاغة، دار عالم الحديث، ط1، اربد، الأردن، 2014، ص 4، 5.

فأبو هلال العسكري (ت 426) يعرف البلاغة بأنها « من قولهم بلغت الغاية: إذا انتهت إليها، وبلغتها غيري...، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه»¹ ومنه نجد أنّ التداولية والبلاغة تتقاطعان وتتشركان والجامع بينهما اللّغة التي تمارس بالفعل بين طرفي العملية التواصلية وهما المتكلم والسّامع.

أما صلاح فضل فيعرف البلاغة بقوله: « هي فن القول ويجمل هذا التعريف في شقين أساسيين هما الفن والقول أما الأول الفن:

هو كل يرتبط بالذوق والاستخدام الشخصي للّغة، أي أنّه يقابل آثار المتكلمين على كلامهم، وكيف يمكن للمتكلم أن يعدّل من موقف سامعه، أما الثاني: القول، ويشمل الأداء الفعلي للّغة أي اللّغة في واقع استعمالها.»²

يقول علي الجارم ومصطفى أمين: « ليست البلاغة إلّا فنا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبيين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب، والبلّغ إذا أراد أن ينشئ قصيدة أو مقالة أو خطة فكر في إجرائها، ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفها على السّمع، وأكثرها إتصالاً بموضوعه، ثم أقوها أثرا في نفوس سامعية وأروعها جمالا»³

وهذا يعني أن البلاغة تعني قدرة المتكلم البليغ على بث أفكاره بأروع الأساليب محدثةً التأثير في نفس المتلقي أو السّامع. ومن خلال هذا يتبين لنا كيف ربط الباحثون بين البلاغة باعتبارها فن القول " بشكل عام مع مراعاة (المتكلم – السامع- المقام) و بين مفهوم التداولية بوصفها «العلم الذي يعني بالعلاقة بين بنيه النص وعناصر الموقف التواصلية»⁴، ويتبدّى لنا أنّ من أهم اهتمامات البلاغة العربية الإيصال والإبلاغ وتناول في خضم هذا شروط الاتصال

1- أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1986، ص 06.

2- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، أدبيات الشركة المصرية العالمية، إشراف محمود على، ط1، 1996، ص 123.

3- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار قباء الحديثة، ط1، القاهرة، 2011، ص 14، 15.

4- حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج، ط1، تونس، 1999، ص 133.

وظروف أدائه من أحوال مختلفة للمتكلمين إلى كل ما يرتبط بالمعنى وملايساته، وبهذا المفهوم فهي تشترك مع ما تناولته اللسانيات التداولية، وتحمل كثيرا من القيم التداولية في دراسة اللغة. و المتأمل في البنية المفاهيمية للبلاغة الجديدة يلاحظ أنها لم تخرج عن نطاق القدماء، والذي وسع دائرته المحدثون باتخاذ مرتكزات تستند فيها على معطيات البلاغة القديمة، هذه المرتكزات تتجلى في (المتكلم و السامع و الخطاب و الموقف الخارجي) وبهذا الطرح نفسه «يرى ليتش (letch) أن البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم و السامع»¹

حيث يحلّل إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محدّدة للتأثير على بعضهما.

«البلاغة دعامة أساسية للدراسات الحديثة أيا كانت أشكالها وتعبيراتها وفنونها، كما أنها تتيح للمتكلمين التعبير والإبداع والتواصل بمختلف المستويات اللغوية وهذه المستويات مشاركة في تعيين عناصر العملية التواصلية وتوجيهها وفقا لأبعاد التداولية والتي تتلخص في ضرورة ربط اللغة بالاستعمال»² ومن هنا نخلص إلى أنّ « البلاغة العربية في دراستها للخطابات المتنوعة قرآن وحديث وشعر وخطابة، اهتمت بتقديم توصيف للعناصر العملية التواصلية (متكلم و سامع ورسالة ومقام ومرجع وحتى القناة التواصلية) وفي إطار هذا التوصيف عنيت بمقاصد الخطاب وأحوال المتلقين له، وشروط الخطاب الناجح الذي يحقق الفائدة لدى المتلقي، المؤشرات اللغوية وغير اللغوية المتحكمة في ذلك مما أكتسب البلاغة العربية أبعادا لسانية وتداولية مهمة، تضمن لها التواصل المعرفي مع معطيات الدرس الحديث والمعاصر»³

1- قوتال فضيلة وقعموسي عبد القادر : أسس العملية التّخاطبية بين البلاغة العربية والنظرية التداولية، مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي، الجامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2013، العدد 3. ص 133.

2- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط2، سطيف الجزائر، 2012، ص 127.

3- باديس لهؤيميل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، ص 172.

الفصل الأول:

- عناصر العملية التواصلية في البلاغة العربية

1. المتكلم في البلاغة العربية

2. السامع في البلاغة العربية

3. مقتضى الحال في البلاغة العربية

4. الخطاب في البلاغة العربية

تشتمل دورة التواصل في البلاغة العربية على عناصر وهي كالاتي:

لا شك في أنّ المرسل والباث والمخاطب ألفاظ تنطوي تحت مفهوم المتكلم فالكلام لا بدّ له من متكلم، والمتكلم عنصر من عناصر عملية الإرسال، فهو طرف تعتمد عليه هذه العملية « وعملية الإرسال لا بدّ أن تتم بين قطبين: المتكلم وهو قطب إرسال إذا يؤلف رسالة ويرسلها، وقطب ثان وهو المتلقي يفك شفراتها، والسلسلة المشفرة التي يرسلها المتكلم يحلها المتلقي في ضوء السياق الثقافية إذ لا بدّ في كل موقف تواصلي من شخصين أحدهما فاعل حقيقي هو المتكلم والآخر المخاطب، وكلاهما ينتمي في الأقل إلى جماعة لسانية أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة»¹.

يتضح لنا أنّ العملية الخطابية قائمة على ثلاثة أقطاب، هي المتكلم والسامع والمقام الذي يرد فيه الخطاب، وقد أولت البلاغة العربية لكل منهم اهتماما خاصا، وتأتي فيما يلي لعرض هاته المفاهيم مرتبطة بميدان البلاغة العربية.

أولاً: المتكلم:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: « تكلم الرجل تكلمًا وتكلامًا وكلمه كلامًا، وكالمه ناطقة، وكليمك الذي يكلمك وكالمته، إذا حادثته»² ومنه فالتكلم هو المتفوه، أو المتحدث، أو الناطق بالكلام.

أما اصطلاحاً: يعد المتكلم القطب الرئيس في العملية الخطابية « إذ يستحيل أن يكون الخطاب ذا معنى، أو أن يتواصل به مع الناس إلاّ إذا تلفظ به»³ ويحظى المتكلم بدور بارز

1- بن صالح مهدي الخفاجي : المتكلم وأثره في بناء القاعدة النحوية في كتاب سبويه, مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ع 97.ص 181.

2- ابن منظور: لسان العرب، مج 13، ص302.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهدي: استراتيجيات الخطاب، ص 46.

في البلاغة العربية بوصفه المنشأ الأول للخطاب، ويعبر عنه العسكري بقوله بأنه «هو فاعل الكلام»¹ ، ويقوم المتكلم من خلال كلامه بتوجيه رسالة أو خطاب إلى السامع.

ويتصف المتكلم بأوصاف بلاغية، والمتمثلة في الفصاحة والبلاغة فصاحة المتكلم:

« هي ملكة يقندر بها على التعبير عن مقصودة بلفظ فصيح»² ونجد كذلك أبو العدوس

يعرفها بقوله: «هي ملكة أو صفة في نفس المتكلم يستطيع بها أن يعبر تعبيراً صحيحاً عما

يجول في خاطره من الأغراض وهذه الملكة تتكون بكثرة الإطلاع وطول الممارسة، والثقافة

الواسعة»³ إذن تتعلق فصاحة المتكلم بأمرين هما ذاته متجلية في الملكة التي يمتلكها، ثانياً:

الخبرة والتي تتكون من خلال كثرة السعي والإطلاع والممارسة.

أما بلاغة المتكلم فهي: «ملكة يقندر بها على تأليف كلام بليغ»⁴، ونجدها في تعريف

أكثر تفصيلاً من سابقة -لكنه لا يختلف عنه - تعني: «أنها ملكة أو صفة قائمة في نفس

المتكلم راسخة فيه يستطيع بها أن يؤلف كلاماً بليغاً في أي غرض يريد، ويلاحظ أنّ البليغ

يحتاج إلى:

1- «الطبع والموهبة، والذهن الثاقب، والخيال الخصب، وهذه صفات خلقية.

1- أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، تحقيق إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، نصر ، القاهرة ، ص 27.

2- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، حققه عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط3،

القاهرة، 2007، ص 19.

3- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني علم البيان، علم البديع، دار المسيرة، ط1، عمان، الأردن،

2007 ص 47.

4- الخطيب القزويني، ص 21.

2- الثقافة اللغوية والنحوية، معرفة أحوال النفوس البشرية وطبائعها، وإمام بما يحبط به من البيئة الطبيعية والاجتماعية، وهذه صفات مكتبة¹ إذن تتدخل مجموعة من الشروط في كون أن يصبح المتكلم بليغاً، والتي وجب عليه مراعاتها لكي يكتسب صفة البلاغة، «فالبلاغة إذن توجه إلى العقل، أو إلى القلب، أو إليهما معاً، تبعاً لما تقتضيه حالات المخاطبين من مقاومة الجهل والرأي والهوى منفردة أو مجتمعة، فإذا كان غرض البليغ نفي الجهالة؛ أو توضيح فكرة

أو تقرير رأي، جزاءه في إصابة غرضه الصحة والوضوح والمناسبة، فإذا أراد التعليم والإقناع، وكان قوام الموضوع طائفة من الفكر والأدلة، أما إذا قصد التأثير والإمتاع، كان سبيله أن يتألق في اختيار لفظه، ويستعين إلى اجتذاب الأذهان واجتلاب الأذان، بإبداع الملكة، وإلهام الروح وتشويق المخيلة وتزويق الفن»² وبه يجب على المتكلم أن يضيف على كل نوع من أنواع الخطاب ما يلزمه من الأساليب التي تليق بنمطه(الخطاب).

إن من أهم الفنون البلاغية التي جسدت واقعا فعل المتكلم هي فن الخطابة والتي تتجلى في كونها: « صفة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول كمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم لثّر غيبيهم وإقناعهم، فالخطابة مرماها التأثير في نفس السامع، ومخاطبة وجدانه وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه ليذعن للحكم إذعانا، ويسلم به تسليما.»³

ومنه يسعى الخطيب أو المتكلم إلى التأثير والإقناع في نفوس من يسمعون، ولكن لا يتأتى له هذا الأمر إلا من خلال شروط عدّها العلماء أساسا لنجاح التواصل بين المتكلم والسامع، فيما جعلها بعضهم آدابا وجب على المتكلم التحلي بها أمام سامعيه « فصناعة

1- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص 49.

2- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار النفائس، ط2، عمان الأردن، 2008، ص 63.

3- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها، تاريخها في أزهي عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 15.

الخطيب من شأنها الاتصال بنفوس من يخاطبهم والقرب من قلوبهم، والناس مختلفون، مشارباً وعادات وأخلاقاً وسنناً، ومهنة ومرتبة، ولكل طائفة من الناس أحوال، يقتضي نوعاً من الخطاب لا تقتضيه أحوال الجماعة الأخرى، وعلى الخطيب أن يلبس لكل حال لبوسها، ويعالج كل طائفة بأنجع دواء لها، ليستقيم به الطريق ويصل إلى غرضه.¹

فالخطيب المتميز هو من يفي بغرض سامعيه ويحقق لكل طبقة ما ترمي إليه، وبهذا يستقيم له الطريق وينال مبتغاه.

كما تعرض الجاحظ (ت 255) لهذا الأمر من خلال قوله: « أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح قليل اللّحظ، متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوق، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة.»² كما يقول في موضع آخر: « ومدار الأمر على إفهام كل قوم، بمقدار طاقتهم، والحمل على أقدار منازلهم»³

هذا يعني أنّ المتكلم يتخير ما يناسب كل طبقة من الطبقات المستمعة وفق أو حسب منازلهم ومقاماتهم، فتفاضل أساليب الخطاب بحسب الطبقات التي يلقي إليها الخطاب، ويظهر هذا جلياً في كلام بشير بن المعتمر حينما يقول: « ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، يوازن بينها وبين أقدار المتسمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات»⁴.

1- نفسه، ص 43.

2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ص 92، ج 1.

3- نفسه، ص 93، ج 1.

4- الجاحظ: البيان والتبيين ص 138، ج 1.

وهذا يعني أنّ يكون المتكلم ثابتا دقيقا ينتقي ألفاظه وكلماته حسب المستمعين فيجعل لكلامه أقدارا حيث يقدر لكل طائفة ما يستوجب من أنماط الخطاب والتواصل ولهذا وجب عليه الموازنة بين أقدار الكلام وأقدار المستمعين وأقدار الحالات.

وتنتقل في هذا المقام للإشارة إلى أغراض الخبر، فأغراض الخبر هي الأغراض التي يقصدها المتكلم» والأغراض التي يقصدها المتكلم إنّما هي الفائدة ، فائدة المخاطب مثل قول المتكلم: اللّغة العربية لغة الإيجاز ففي هذا الخبر يبتغي المتكلم إفادة المخاطب، ويسمى هذا فائدة الخبر»¹

وربّما نجد عبد الرحمن الحاج صالح يعبر عن هذا من خلال قول الآتي: «فمعنى هذا الكلام أنّ الفائدة هي ما يستفيده المخاطب من علم لم يكن تحصل عليه إلا بهذا الكلام الذي يسمعه ولا بدّ أن يكون قد جهل هذا الذي بلغه بهذا الكلام أمّا إذا احتوى على شيء الذي كان علم من قبل أيّا كان فلا تكون هناك فائدة. فالفائدة إذن هي كمية من المعلومات قد تكون إيجابية أو مساوية للصفر. فالخطاب يتحصل به المخاطب على علم أولا يتحصل على شيء من ذلك»²

وقد نجد أنّ المتكلم يلقي الخبر لكن ليس لغرض إفادة المخاطب فالمخاطب عالم به مثلا ولكن الغرض هو أشعار المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الخبر، ولا يجهله، فمثلا علم المخاطب

1- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأقنائها، ص 108.

2- عبد الرحمان الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري

للّغة العربية، سلسلة علوم اللّسان عند العرب 3، ص 70.

سفر المخاطب، فيقول المخاطب: أنت قدمت من سفرك أمس، فالمسافر والمتكلم لا يجهلان

هذا الخبر لكن المتكلم أراد إخبار المسافر بأنه على علم به ويسمى هذا لازم الفائدة.¹

إذن يلقي المتكلم الخبر على السامع قاصداً أمرين هما:²

1- إعلام الخاطب بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية حين يكون جاهلاً به، ويسمى هذا

النوع فائدة الخبر، لأنه المقصود بالخبر والمستفاد منه.

1- إعلام المخاطب أنّ المتكلم عالم بالحكم الذي تتضمنه الجملة، حيث يكون المخاطب عالماً

بالحكم، ولكنه يجهل أنّ المتكلم يعلمه، أيضاً، ويسمى هذا النوع لازم الفائدة، لأنه يلزم في

كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظن به.

-2

ثانياً: السامع في البلاغة العربية

ذكرنا آنفاً أن العملية التخاطبية لا تتم إلا بحضور أقطابها ويشكل السامع ثاني أقطاب

هاته العملية بعد المتكلم، « والواقع أنّ ما يذكر بشأن المتكلم لا يستقيم إلا بدور السامع، حتى

إنّ ما يرتبط بقصد المتكلم، يفترض وجود سامع مقصود بالخطاب، ولذلك فالحديث عن

المتكلم هو حديث ضمني عن السامع أيضاً»³، فمن هو السامع أو ما علاقته بالبلاغة

العربية؟.

1- ينظر: فصل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، ص 108-109.

2- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص 56.

3- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 136.

السامع:

لغة: ورد في لسان العرب السامع من السمع و «السمع: حس الأذن وفي التنزيل إِنَّ ﴿﴾

أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾¹، وقال ثعلب: معناه

خَلَّاهُ فَلَمْ يَشْتَغَلْ بغيره وقد سمعه سمعا وسماعاً²

إن السامع هو المنصت والمصغي والمستمع للكلام بواسطة حاسة السمع.

اصطلاحاً: السامع هو المخاطب أو المتلقي أو المرسل إليه، ويعرفه بن ظافر الشهري

على أنه الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمداً وبين إشارة اللغويين القدماء في التراث العربي إلى تأثير المرسل إليه على المرسل عند إنتاج خطابه كما يرى أن للسامع دور كبير عند البلاغين: فبناء الخطاب وتداوله حسبة مرهون إلى حد كبير بمعرفة حال

السامع أو بافتراض ذلك الحال.³

إن المتكلم لما يتكلم إنما يسعى إلى ربط خط التواصل مع متلقٍ ليؤثر فيه، بما يلقيه إليه من قدر تواصلٍ معين، أو بتعبير أدق إنَّ المتكلم يريد من البداية أن يظهر مراده للسامع، وعلى إثره «يحظى السامع في العملية الإبلابية في الدرس البلاغي العربي القديم بأهمية لا تقل عن أهمية المتكلم، ولئن كان المتكلم هو منشئ الخطاب ومنتجه، ويسمه بكثير مما يميزه متكلماً عن الآخرين، فإنَّ السامع هو من ينشأ له الخطاب ومن أجله، وهو مشارك في إنتاج

1- ق، الآية 37.

2- ابن منظور، لسان العرب، مج8، ص162. مادة سمع

3- ينظر بن ظافر شهدي: استراتيجيات الخطاب ص 47، 48.

الخطاب مشاركة فعالة، وإن لم يكن مشاركة مباشرة»¹. لذا فالسامع طرف هام دوماً «وحاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب سواءً كان حضوراً عينياً، إم استحضاراً ذهنياً وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التنويرية، ويمنحه أفقا لممارسة اختيار إستراتيجية خطابه»² وندلل على هذا الكلام، بما جاء في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ): «لأبد لكل كلام تستحسنه ولفظا تستجيده، من أن يكون لا ستحسانك ذلك جهة معلومة وعله معقولة»³ وهذا ما يبرز استحضار السامع في ذهن المتكلم أثناء خطابه لأنه لولاه لما كان لخطابه معنى، فالسامع هو العنصر المساهم في تفعيل دورة التواصل بين هذين القطبين أي بينه وبين المتكلم، وهذا ما أشار إليه أبو زيد في قوله: «إننا لا نبالغ إذا قلنا إن المتكلم قد يرتهن عند حالة المخاطب، لأنها هي التي تحدد الفعل المستقبلي للمتكلم نفسه، بأن يكمل خطابه، أو أن يجعل له، حداً في لحظة ما يقررها بناء على تلك الحالة، فهي تلعب دوراً في قرار المتكلم فيما يخص استمرارية الكلام، لأن انتباه السامع دليل على قدر من الاحترام للمتكلم، والتقدير لقيمة ما يلقيه إليه»⁴.

إن المتكلم يكون دوماً في مراعاة حال السامع وبه يحكم قراره في استكمال خطابه ومواصلته

1- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية 142، 143.

2- بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 48.

3- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق أبو فهرو محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر و التوزيع، ط3، القاهرة، 1992م، ص 41.

4- ينظر: نواري سعودي أبو زيد: ممارسات في النقد و اللسانيات، بيت الحكمة ، ط 1، سطيف، الجزائر، ص 38.

أو التوقف، فإذا أبدى السامع انتباها وحرصا على فهم كلام المتكلم أدى هذا إلى تحفيز المتكلم في استكمال خطابه وجعله أكثر فاعليه، وإذا كان العكس فبدوره ينعكس هذا على المتكلم ويجعله أقل حماسا أو يرمي به هذا إلى التوقف وعدم المواصلة.

حتى إنّ للخبر أنواعا وأضربا فيتنوع الخبر حسب المتلقي لذا فنجد للخبر ثلاثة أضرب وهي تتنوع حسب حالات المخاطب وحالات المخاطب هي كالآتي:¹

أ- أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد، ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائياً.

ب- أن يكون متردداً في الحكم طلباً أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويسمى هذا الضرب طلبياً.

ج- أن يكون منكراً له، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفاً، ويسمى هذا الضرب إنكارياً.

وبهذا نرى أنّ للسامع أهمية حتى أثناء إلقاء الخطاب فالمتكلم يقوم بإلقاء خبره عبر ثلاثة أوجه وتتنوع هذه الأوجه تبعاً للحالة التي يكون عليها إلى السامع.

كما نجد أنّ هناك من البلاغيين القدماء من وضع شروطاً للسامع وجب توفيرها فيه ومن بينهم عبد القادر الجرجاني الذي يرى أنه يلزم على السامع الإمام بأمر مهمة تسهم في فهمه للخطاب الموجه له من طرف المتكلم وهي كالآتي:

1- علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة، ص 144.

1- أن يكون عالماً باللغة وهذا الشرط يتجلى في قوله: « لا يخلوا السامع من أن يكون عالماً باللغة و بمعاني الألفاظ التي يسمعها »¹ فهو بهذا يطالب السامع بالإلمام باللغة وبجميع قضاياها النحوية والصرفية.

وبمختلف أساليبها البلاغية لكي يبدي له فهم المعنى المقصود من غير لبس.

2- أن يكون متهيأ ومستعداً لتلقي الخطاب أو تلقي الكلام وهذا يبدو في قوله «أنت لا تستطيع أن تنبه السامع بها وتحدث له علماً بها حتى يكون مهيناً لإدراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساساً»² ومنه نرى أنه اشترط الاستعداد وإضافة إلى ذلك اشتراط الذوق والمعرفة، ومنه فمعرفة السامع بعلوم اللغة وتهيوئه لاستقبال وتلقي الكلام وما يحمله من شأنها أن تساعد السامع إلى معرفة ما يرمي إليه المتكلم.

3- أن يستعمل فكرة في تحليل الخطاب: وعبر الجرجاني عن هذا بقوله «قد تعمل فيه المشقة الشديدة وقطع إليه الشقة البعيدة وأنه لم يصل إلى درة حتى غاص، وأنه لم ينل المطلوب حتى كابد منه الامتناع والاعتياص»³ فالسامع يتحمل المشقة في الوصول إلى ما يصبو إليه المتكلم وكأن المتكلم في هذه الحال يريد من السامع أن يعيش نفس تجربته معيداً صياغة الخطاب بصورة أخرى، ومجمل ما ذكرناه سابقاً يتجسد في هذا المخطط:

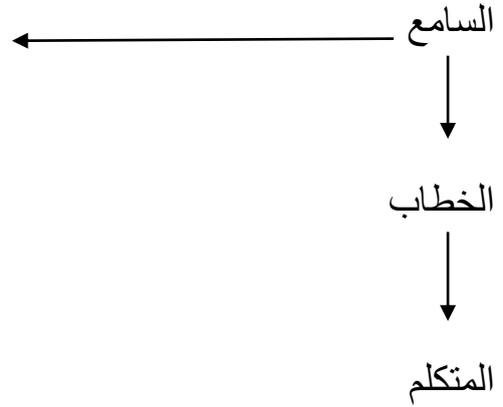
1- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 291.

2- نفسه، ص 265.

3- نفسه، ص 265.

شروطه

- معرفة اللّغة
- معرفة النحو والإعراب والتصريف.
- معرفة مواقع الكلم.
- التهيؤ لتلقي الكلام.
- التدوق.
- حسن الانتباه والنظر الثاقب.
- إعمال الفكر.



1

ويتبين لنا من منطلق هاته الشروط أنّ عبد القاهر الجرجاني استطاع تقديم تصور شامل متكامل للأسس التي كان لزاما على السامع التحلي بها ومن نصوصه هاته أنيرت الطرق للوصول إلى دور السامع في فهم الخطاب عند تلقيه له , ولن يتحقق له ذلك إلا بعدما يعمل بالشروط التي أوردها عبد القاهر الجرجاني ومن سبقه من العلماء , فالسامع هو المفسر والمؤول للخطاب أو لنقل هو شريك المتكلم في عملية التخاطب .²

1_إبرير سمية :مفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دراسة في ضوء علم المصطلح ماجستير ,قسم اللغة العربية وآدابها ,كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية جامعة باجي مختار ,عنابة ,الجزائر 2011,ص130.نقلأ عن فاتح زيوان :أسس تحليل الخطاب في لثراث العربي من القرن 2هـ إلى القرن 5هـ في ضوء الدراسات اللسانية أطروحة دكتوراه ,ص286.

2- نفسه 129.

ثالثاً : مقتضى الحال في البلاغة العربية:

قامت البلاغة على فكرة مقتضى الحال أو المقام فهو جوهرها ومنبعها، فكانت عبارة لكل مقام مقال هي الرّكيزة الأساسية التي تنشدها البلاغة العربية، وفي هذا يشير جميل عبد المجيد إلى أنّ المجال الذي « يحدد البلاغة هو أنّها عمل المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة منطوقة من خلال قناة اتصال مسموعة في مقام معين»¹ من منطلق هذا الكلام نرى أنّ فكرة المقام تشكل جزءاً مهماً من العملية الخطابية ومنه يتعيّن علينا الوقوف عليها وبيان ماهيتها، ومنه نتساءل إلى ما تقودنا فكرة المقام أو مقتضى الحال وما هو الرّابط بينها وبين البلاغة العربية.

لا ريب أنّ مقتضى الحال أو المقام هو ما يسميه المحدثون بـ(سياق الحال، أو السياق المقام) ومن أوضح تعريفاته هو أنه « كل ما يحيط باللفظ من ظروف تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب في أثناء النطق، فتعطي اللفظ دلالاته، وتوجهه باتجاه معين، فهو إذن مجموعة العوامل والعناصر المحيطة بالنص من خارجة التي تعين على فهمه وتفسيره »²

ومنه نجد أنّ المقام يعبر عن تلك الظروف التي تحيط بالعملية التواصلية من ظروف مكانية وأحوال المتكلم والسامع أثناء الخطاب، وعلى إثره يتجلى لنا مقام الكلام أو الخطاب استناداً إلى تلك الظروف والملابسات التي أحاطت به، حتى إنّ شأن الكلام أو الخطاب يعلو حسب حسن استخدام أو توظيف المتكلم له في المقام الذي يوافقه وفي هذا يقول السكاكي: « وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما

1- جميل عبد المجيد : البلاغة والاتصال، دار غريب، د ط، نصر القاهرة 2000، ص 16.

2- حسن حامد الصالح: التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار بن حزم ط1، لبنان، 2005 ص 128.

يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال»¹ ومنه نستنتج أنّ الكلام ينال الحسن والقبول لما يرد في مقام مواقف له كما يقول الخطيب القزويني «وأما بلاغة الكلام فهي: مطابقة لمقتضى، الحال مع فصاحته»² فنجد أنّ القزويني ربط بين البلاغة ومقتضى الحال أي أنّ الكلام لا يكون بليغاً إلا إذا كان في مقامه أما إذا كان الكلام منافياً أو مناقضاً للمقام تجرد من صفة البلاغة،

ومنه يتباين الكلام من خلال المقام الذي يرد فيه، وفي هذا يقول السكاكي معدداً ومنوعاً الأحوال والمقامات أنه: « لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكائية، مقام التهنية يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل... وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر»³

وعليه وجب على المتكلم أن يوظف كلامه حسب المقام الذي يكون عليه فلا يعقل أن يستعمل المتكلم كلمات دالة على التعزية وهو في مقام الفرح والعكس لأنّ به يختل نظام الكلام لأنّ الكلام ناقض المقام.

كما نجد أنّ عبد القاهر الجرجاني أشار إلى هاته الفكرة من خلال ما سماه بالنظم حيث يقول: «النظم توخي معان النحو في ما بين الكلم حسب لأغراض التي يصاغ لها الكلام

1- السكاكي : مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ط1، بيروت لبنان ، 1403هـ، 1983 م، ص 341.

2- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص80.

3- السكاكي:مفتاح العلوم ، ص 343.

«لوما يتبين من قول الجرجاني أنّ النظم لا يتحقق إلا إذا سيق الكلام وفقاً لأغراض المتكلم والتي تعني بها هنا مقاصد المتكلم مصاغَةً في مقامها .

ويرى البلاغيون أنّ الأصل في الكلام أن يكون على مقتضى الظاهر ولكنه حسبهم قد يخرج على خلافة ولهذا الخروج أسباب مختلفة أهمها:

1- الالتفات: يرى حسن طبل أنّ لفظة الالتفات « تدور حول محور دلالي هو التحول والانحراف عن المؤلف من القيم أو الأوضاع أو أنماط السلوك أو هو انحراف غير متوقع على نمط من أنماط اللّغة »²

إذن يسلك المتكلم في الالتفات أسلوباً مغايراً لما هو مؤلف عن اللّغة « وهو التعبير عن معنى بطريقاً من الطّرق الثلاث التي هي التّكلم والخطاب والغيبة، بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطّرق الثلاث، يشترط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع.

- وجود تعبيرين يستخدم في ثانيهما طريقاً مغايراً لطريق الأول.

- مخالفة التفسير الثاني لمقتضى ظاهر الكلام ومترقب السامع»³

ويعتبر الزمخشري هو أول من بدأ التّأصيل لظاهرة الالتفات حيث يرى أنّ الالتفات يحقق فائدتين أحدهما عامة في كل صورة وهي إمتاع المتلقي وجذب انتباهه بتلك التّنوعات

1_ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 270.

2- حسن طبل : أسلوب: الالتفات، دار الفكر العربي، ط، نصر القاهرة 1998، ص 11.

3- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص 103.

أو التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير، والأخرى خاصة تتمثل فيما تُشعُّه كل صورة من تلك الصُّور في موقعها من السياق الذي ترد فيه إحياءات ودلالات خاصة¹

2- أسلوب الحكيم: هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه إمّا بترك سؤاله، والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإمّا بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد تنبيهها على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى.²

ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر أيضا نجد:³

1- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ومثاله قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ)⁴

2- التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل ومثاله قوله تعالى (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ)⁵

1- ينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات، ص 26.

2- المرجع السابق، ص 107.

3- ينظر عبد القادر حسين: فن البلاغة، دار غريب، د ط، القاهرة 2006، ص 179، 180.

4 النمل، 87.

5- الصافات، 102.

وقد بدت فكرة المقام واضحة عند العرب القدماء بجميع ملابستها و برزت في مجموعة من القضايا التي نجلها فيما يلي:«الدراسات القرآنية التي كان أساسها فهم القرآن الكريم فقد اقتضت الغاية بالكتاب المقدس الخوض في مسائل لغوية متعددة بنت عدد العلوم القرآنية وهذا ما كان متمثلا عند الجرجاني في دلائل الإعجاز، والجاحظ في البيان والتبيين، فخر الدين الرازي في التفسير الكبير، والسكاكي في مفتاح العلوم، وخاصة الكتب الأصولية منها»¹

ولهذا نرى أنّ جل هذه المصنفات قامت على اعتبار فكرة المقام لأنها من أهم الركائز التي يقوم على أساسها فهم المراد من الكلام.

«وتنبهت البلاغة العربية أيضا إلى أهمية المقام عند تشكيل الأسلوب البلاغي فنهض علم المعاني على مراعاة المقام واتساق الكلام مع مقتضى الحال، فيفترض علم المعاني أيّ تغيير في الأسلوب تغييرًا في معناه فالعلاقة بين الشكل والمضمون علاقة مقامية»²

ويرى التهانوي أنّ «الحال اصطلاح أهل علم المعاني على الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص، أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصه ماهية المسمّاة بمقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرًا للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها ومنه قولهم علم المعاني علم يعرف بها أحوال اللفظ العربي التي تطابق بها الكلام مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال»³

1- عبد النعيم خليل: السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء، الإسكندرية ، د ط، ص 108.

2- منال محمد هاشم سيد نجار: المقام في ضوء البراغماتية النظرية والتطبيق، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، كلية

الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، 2004 ص 18.(مخطوطة)

3- التهانوي : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، مكتبة ناشرون ، ط 1، بيروت، لبنان، ج2، ص 1292.

كما أشارت البلاغة العربية إلى أنّ «الأساليب البيانية والبديعية تنفرد بدلالات عميقة وجوهرية وشديدة الوقع على المتلقي، فمثل هذه الأساليب لا تنتمي لميدان الشكل بل لميدان دلالة من نوع خاص. وهي الطرائق التي يتفاوض بها الملقى والمتلقي. فمن أجل المتلقي تتغير الأساليب والصيغ كما أن ضروب البيان والبديع تكمن غايتها في تطوير التعبير وتحسينه

وتوفير الجمال فيه زيادة في الإيضاح ورغبة في حسن المقال وإسهامًا في الذوق وإرهافه، وسيرًا في طريق الحضارة لتحقيق أقصى إمكانات التبليغ تحقيق يؤدي إلى إنتهاض المخاطب بالعمل والتغيير»¹. ومنه نجد أن كل أنواع المعاني والبيان والبديع من شأنها أن تنثري شكل التواصل بين المتكلم والسامع لكن هذا لا يتحقق إلا إذا أحسن المتكلم توظيف تلك الأساليب في مقامها الملائم.

ونجد أنّ هناك من يعتبر أن المقام هو الأساس لفهم المعنى حيث أنه لا معنى من دون السياق ولا تأويل من دون اعتباره، ومن هؤلاء نجد الأصوليين، فالسياق عندهم هو من المسلمات التي لا يتسنى لهم تعاطي خطاب الوحي إلا من خلالها والتي قرروها نتيجة تفاعلهم مع هذا النص فهما وتأويلاً وعليه ففكرة السياق والقرائن دالة على مراد المتكلم من كلامه وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات وتنزيل الكلام على المقصود منه وفهم ذلك قاعدة من قواعد أصول الفقه².

وهذا يبين أن علماء أصول الفقه أو الأصوليين جعلوا المقام دعامة أساسيه في فهم الخطاب الإلهي ولهذا يرون أنه لا معنى دون الرجوع إلى السياق فهو المبدأ الذي يعتمدونه في فهم وتأويل الخطاب القرآني.

1- منال المقام في ضوء البراغمانية، ص 18.

2- ينظر: سيف الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تعليق عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية،

وفي هذا يقول تمام حسان «لقد كان علماء الأمة الإسلامية عند اعترافهم بفكرة السياق بشقية المقالى و المقامى، متقدمين بأكثر من ألف سنة على زمانهم باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التى جاءت كمغامرة العقل فى الفكر المعاصر فى دراسة اللغة»¹

ومنه نرى أن فكرة المقام لم تكن وليدة اليوم بل كانت وليدة عصور سألفة وتنبه لها علماء درسوا وتعمقوا وتميز بفكرهم عن غيرهم ممن جاء بعدهم.

وبهذا الاصطلاح فإنّ المقام عند البلاغيين هو كل ما يعين على فهم الحدث اللغوي وإبراز المعنى سواء أكان متصلا بالسامع أو المتكلم أو علاقة كل منهما بالآخر، أو الأشخاص الأخرين المشتركين فى الكلام، أو الزمان والمكان الذى يتصل بالحدث اللغوي وغير ذلك كثير مما يتمثل فى الظروف الاجتماعية والبيئية والنفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين الكلام أو فى النهار.²

رابعا : الخطاب فى البلاغة العربية

لا يمكن أن تتم عملية تخاطبيه، بين متكلم وسامع، دون أن يكون هناك أمر يتبادلان به الحديث، وهذا الأمر هو الخطاب، يرسله المتكلم نحو سامع فيعلمه بخطابه أو بكلامه هذا، ومنه نتساءل ما هو الخطاب؟ وماذا يمثل بالنسبة للعملية التخاطبيه؟

يقول الجوهري فى معجمه الصحاح "خطب: الخطبُ: سببُ الأمر، تقول: ما

خطبك. وخطبت على المنبر خطبة بالضم. وخطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا³

1- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، 1، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص 350.

2- ينظر: عبد النعيم خليل نظرية السياق بين القدماء ولمحدثين، ص 165.

3- ينظر: أبو نصر بن إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، دط، مصر،

وورد لفظ الخطاب في المصباح المنير للفيومي كالاتي: (خاطبه مخاطبه وخطاباً): وهو الكلام بين متكلم وسامع، فهو خطيب والجمع خطباء، وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم¹

كما وردت هذه اللفظة في الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادَ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

يَمشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٣٣﴾² وقوله تعالى:

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُرُوءًا تَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٣٤﴾﴾³

اصطلاحاً: يقول الزركشي: «عرّفه المتقدمون بأنه الكلام المقصود به إفهام من هو

متهئ للفهم»⁴

أما الخطاب عند الأمدي فهو: «اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهئ

لفهمه»⁵

إذن الخطاب هو اتصال أو تواصل لسانی لغوي يستعمله المتكلم بهدف إرسال رسالة

الغرض منها إفهام السامع.

1- ينظر: أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير: تحقيق يحي مراد، مؤسسة المختار، ط1، مصر، 2008، ص

106.

2- الفرقان: 63

3- ص: 20.

4- بدر الدين الزركشي: المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، الكويت، 1992 م، ص 126.

5- الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ص 132.

كما يعرف بعضهم الخطاب على أنه: «هو النص اللغوي بعد استعماله وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلأغي من المخاطب إلى المخاطب»¹ أو أنه «كل تعبير لغوي أيًا كان حجمه إنتاج في مقام معين قصد القيام بغرض تواصلية معين»² ويتفاوت الخطاب بعضه على بعض حسب مقدرة المتكلم على اختيار ما يناسب مع السياق بحيث يكون الكلام الذي يؤلفه المتكلم متناسق في ألفاضه وفي تتابع معانيه وتعابيره وهذا ما أشار له عبد القاهر الجرجاني بقوله: «إذا كان النظم سويًا، والتأليف مستقيما كان وصول المعنى إلى قلبك تلو وصول اللفظ إلى سمعك، وإذا كان خلاف ما ينبغي، وصل اللفظ إلى السمع وبقيت في المعنى تطلبه، وتتعب فيه، وإذا أفرط الأمر في ذلك صار التعقيد الذي قالوا إنه يستهلك المعنى»³. فلزم على المتكلم أن يحسن اختيار الألفاظ ويحسن توظيفها في مكانها المناسب دون أن يحدث اختلال في الأفكار والأساليب لأن تنافر الأفكار والأقوال يجعل من الكلام معقدًا وبه لا يستطيع السامع فهم مرمى أو مبتغى المتكلم، فأداء الكلام ووضعه وفق ما تسمح به اللغة العربية ونظامها النحوي، ينجم عنه بلا شك جلاء لمعاني الخطاب ووضوحها، ولا يتأتى هذا إلا بربط ما هو مستعمل في اللغة بقصد بالمتكلم.

كما يبين الجرجاني أنه لا يكفي توالي الألفاظ والكلمات لحصول الفهم إنما جعل هناك أشياء يتم بها حصول المعنى في ذهن السامع دون عناء وهي في قوله الآتي: « ليس الغرض بنظم الكلمات أن توالى ألفاظه في النطق، بل تناسقت دلالاته وتلاقت معانيه على الوجه الذي

1- محمد محمد يونس: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، ط2 بيروت لبنان، 2007، ص 157.

3- أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، منشورات ضفاف، ط1، بيروت لبنان، 2013 ص 484.

3- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 267.

اقتضاه العقل»¹، ومنه يتمكن المتكلم من إيصال المعنى الذي يريده إلى السامع على أكمل وجه « فالمواضعة تعني الاتفاق بين أبناء الجماعة الواحدة على استخدام مصطلحات وألفاظ أو علامات خصوصية يفهمها المخاطب والمخاطب، تكون خاضعة لقواعد الربط بين المتخاطبين، فالمخاطب يجب عليه قبل إرساله خطاباً معيناً إلى المخاطب، أن يتولى تنسيقه وفق مستويات وقواعد اللّغة (صوت وصرف ونحو دلالة) المتفق عليها من أبناء الجماعة»²

ونجد الرازي يبين لنا أنّ قدرات الناس متفاوتة في التعبير وهذا في قوله: « إنّ الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير، فمنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادرًا على ضبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايات، وكل من كانت هذه القدرة في حقه أكمل كانت الآثار الصادرة عن النفس النطقية في حقه أعظم، وكل ما كانت تلك القدرة في حقه أقل، كانت تلك الآثار أضعف لأنّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرًا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، ويحضر بالخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وينفصل كل مقام عن مقام»³

هذا يعني أنّ ميزة فصل الخطاب هي صفة ميز الله بها بعض البشر عن غيرهم فهناك من يجمع بين ضبط المعنى وحسن التعبير عنه فيبلغ أسمى الغايات ويحقق أعظم الأهداف في التبليغ إلى سامعيه، ومن قلت عنده هاته الصفات كان حضّه في التعبير والإيصال أقل وكانت آثاره أضعف.

1- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 280.

2_إبرير سمية، مفاهيم لسانيات النص، ص 131

3- محمد فخر الدين الرازي: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983، ج6، ص، 187-

كما يقسم الخطاب لاعتبارات متعددة تبعاً للأغراض وهو كالآتي:¹

- اعتبار الغرض من الخطاب: خطاب سردي أو وصفي أو حجاجي أو تعليمي أو ترفيهي.

- اعتبار نوع المشاركة: حوار ثنائي، حوار اجتماعي...

- اعتبار طرق المشاركة: حوار بمشاركة مباشرة أو غير مباشرة

- اعتبار نوع قناة التمرير: خطاب شفوي، خطاب مكتوب.

كما أنه يمكن تقسيم الخطاب بحسب درجة الرسمية:²

- خطاب رسمي جداً: يمكن أن يكون أمام جمهور كبير و يتصف باللغة المنتقاة، والأسلوب

المناسب للموقف ومثاله الخطب العامة والبدنية والسياسية.

- خطاب علمي تعليمي: ومثاله مخاطبة الطلاب في الفصول.

- خطاب استشاري: مثل الحوار بين الأستاذ والطالب.

- خطاب غير رسمي: مثل المحادثات بين الأصدقاء والزّملاء وفيه تقلّ الحواجز

الاجتماعية.

- خطاب ودي: يمتاز بغياب كامل للحواجز والمعوقات، مثل الحديث بين أفراد الأسرة.

ومن خلال هذا الفصل تتجلى لنا ركائز العملية التواصلية في البلاغة العربية و التي

تمثلت في "المتكلم والسامع" ومدى التعلق الوظيفي بينهما وملازمة كل طرف للآخر ,كما أنّ

1- عبد السلام عابي: المكون التداولي في المدونة الأصولية، ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، كلية اللغة العربية

وآدابها جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر، 2014، 2015، ص 59.(مخطوطة)

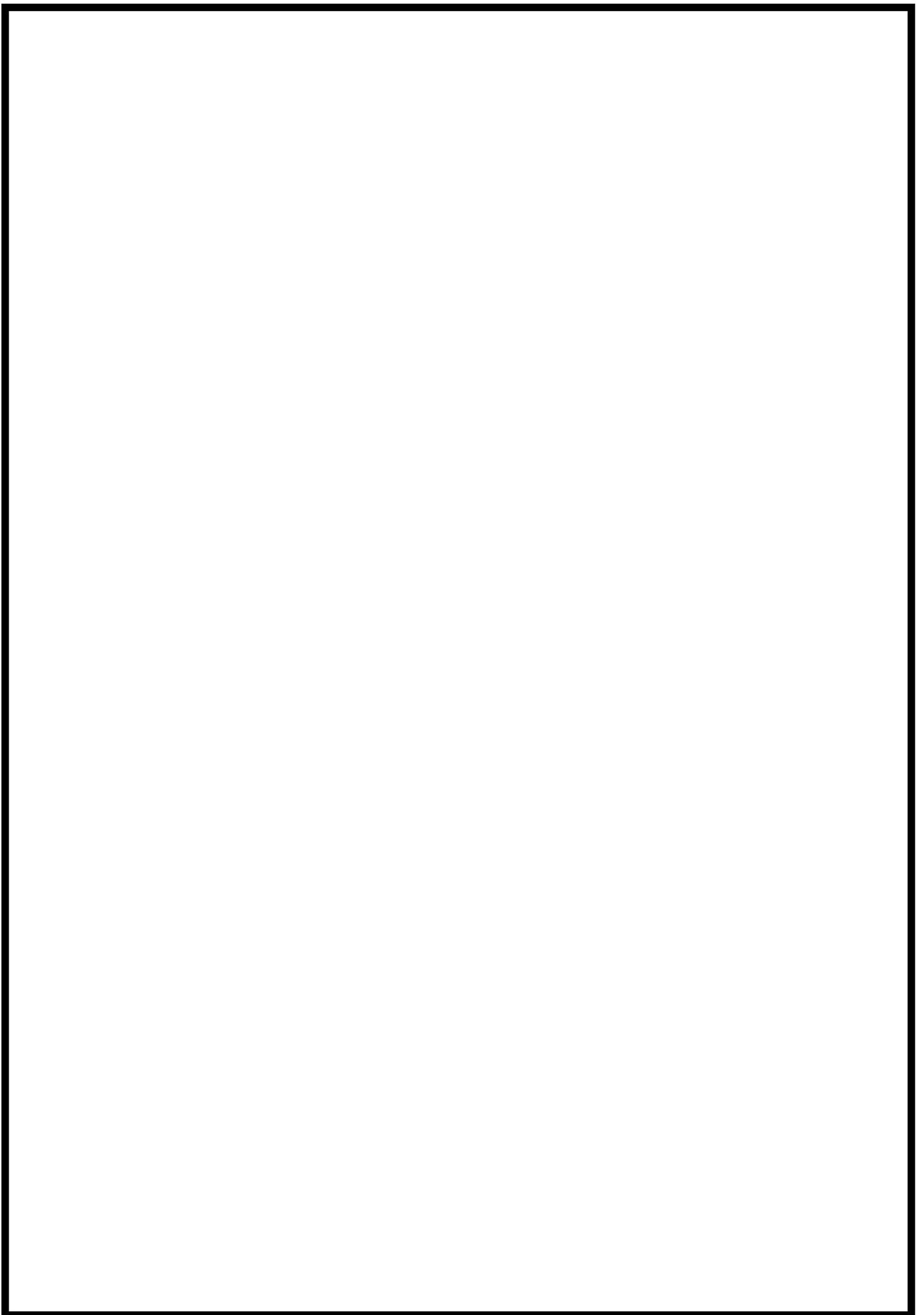
2- عبد السلام عابي: المكون التداولي في المدونة الأصولية، ص 60.

هناك عناصر أخرى تعد بدورها من العناصر المساهمة في العملية التواصلية التفاعلية بين المتكلم والسامع وهي المقام (مقتضى الحال) والخطاب , وقد وجدنا أنّ بلاغتنا في القديم تطرقت إلى هاته العناصر وأولتها عناية بالغة , بالمقابل نجد أن هناك نظرية لسانية تنبعت لهذا الأمر فاهتمت بالكلام ومستعمليه وبكل الظروف المحيطة به من قصد المتكلم وأفعال الكلام والسياق ... وهذا ما سنحاول معرفته ومعالجته في الفصل الثاني ونستبين من خلاله علاقة هذ النظرية بالبلاغة العربية وأوجه التداخل بينهما.

الفصل الثاني:

– مداخل التداولية في البلاغة العربية

1. مقصدية المتكلم و أثرها في دورة التواصل
2. الأبعاد التداولية للمتكلم و السامع في علمي المعاني و البيان
3. دور السياق في توليد المعنى بين المتكلم و السامع
4. الحجاج و أثره في تقوية الأسلوب بين المتكلم و السامع



تعد البلاغة المجال الأبرز الذي يجسد الأبعاد التداولية لذا فهما يتشاركان ويظهر هذا التشارك في التداخل القائم بينهما في العديد من القضايا أهمها :

-مقصدية المتكلم وأثرها في دورة التواصل:

لا تكتمل العملية التواصلية إلا بحضور عناصرها: المتكلم والسامع والسياق الذي تنجز فيه، ونجاح هاته العملية مرهون بنجاح العملية التفاعلية بين هاته الأطراف، وذلك حسب حسن استخدام اللغة، وكيفية صياغة ذلك الاستخدام في السياق ويتم كل هذا عبر آليات وجب على المتكلم مراعاتها، فيعتبر المتكلم «الذات المحورية في إنتاج الخطاب لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصده معينة وبغرض تحقيق هدف فيه»¹ إذن المتكلم هو منتج الخطاب «وصاحب نية التواصل و المسؤول الفكري عنه وعن نجاح عملية التواصل أو فشلها»² أما الجرجاني فيعتبر المتكلم طرفا فاعلا وأساسيا في تحديد معني الكلام لأن الجرجاني ربط قصدية الكلام بالمعاني النفسية التي تنطلق من داخل المتكلم لتظهر على هيئة خطابية يمكن اعتبارها بنية سطحية متولدة عن بنية عميقة، إن هذا التصور الذي لمح له الجرجاني يؤدي بنا إلى ضرورة التمعن في المكون التداولي الذي يقف وراء انجاز المعاني وبذلك إعطاء أهمية للمتكلم الذي يظهر القول ويشحنه بدلالات يتقرد في انجازها ويتوخى تأويلها عن مخاطبته.³

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 45.

2- قوتال فضيلة وقعموسي عبد القادر: أسس العملية التخاطبية بين البلاغة العربية والنظرية التداولية، ص 125.

3- ينظر: ثقبايث حامدة: قضايا التداولية في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة ماجستير، قسم اللغة والأدب

العربي، جامعة مولود معمري، يتزي وزو، الجزائر، 2012، ص 61، (مخطوط).

ومنه نستنتج أن المتكلم هو الركن الأساسي في العملية الخطابية أو التواصلية، فهو الباعث الأول للخطاب عبر عمليات ذهنية متعلقة بفكر المتكلم، وأخرى فعلية متعلقة بالأداء الفعلي المتمثل في الكلام الذي به يوجه خطابه أو رسالته للسامع.

يسعى المتكلم إلى تحقيق أغراض معينة من وراء خطابه، ويكون هذا عبر قصدية تتم من خلال أفعال الكلام المتولدة عنه ومنه تشترك البلاغة والتداولية في هذين المفهومين، فالقصدية تعني أن المتكلم لا يتكلم إلا بقصد، ومن أجل غاية هي تحقيق فائدة « فهو وحده من يستطيع تحديد الدلالات ومقاصدها بل إن المعنى في كثير من الأحيان مرتبط بما ينويه ويقصده»¹

فقد جاء في الصحابي لابن فارس «فأما المعنى فهو القصد»² وللقصد عموماً مفهوم تداولي يرتبط باستعمال اللغة «وبذلك فإن أهم ما يتولد عن القصد مفهوم رائد للفعل في الدرس العربي يعبر عن الأداء الفعلي للغة من طرف المتكلم»³ وفي هذا يقول ابن خلدون: «اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وكذلك العبارة فعل لسانى ناشئ عن القصد بإفادة الكلام»⁴ فقد ربط ابن خلدون هنا اللغة بقصد وإرادة المتكلم أثناء أدائه الفعلي لها وحينما ترتبط اللغة بقصد المتكلم تشكل الإفادة في الكلام، أما في موضوع آخر فيقول ابن خلدون «إذ لا يتم كون الفعل إلا بإرادته والقصد إليه، والقصدات

1- خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية ، ص 153.

2- ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له مصطفى السويمي: مؤسسة بدران للطباعة والنشر بيروت، لبنان ، 1963، ص 179.

3- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية ص 138.

4- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دار يعرب، ط1، دمشق ، 2004، ص

أمر نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة، يتلو بعضها بعضاً، وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل»¹

ومنه تبين أن قصورات المتكلم هي قصودات مرتبطة بذاته ولا يتم الإفصاح عنها إلا من خلال أداء المتكلم الفعلي لها بواسطة الكلام.

ومفهوم القصد من المفاهيم الجوهرية التي استأثرت وما تزال اهتمام اللسانيين وقبلهم الفقهاء والفلاسفة والمتكلمين وعلماء البلاغة إذ عندهم انه لما كانت المعاني سابقا للألفاظ والعبارات، فإن دلالة هذه على تلك يتوقف على المواضع وقصد المتكلم، والكلام قد يحصل بغير قصد فلا يدل، ومع قصد فيدل ويفيد.²

فهناك من ربط الكلام بالقصد ومن بينهم الدكتور طه عبد الرحمان حينما تحدث عن مبدأ القصدية، حيث انتهى إلى أنه لا كلام إلا مع وجود القصد وبدا هذا في قوله «الأصل في الكلام القصد»³

وقد كان رأي ديكرود (ducrot) مماثلاً لرأي طه عبد الرحمان حيث أكد هذا التصور حين علق فهم الملفوظ باكتشاف قصد المتكلم⁴

ومن خلال نظرة ديكرود نجد أن السامع لا يفهم معنى الملفوظ من طرف المتكلم إلا من خلال معرفته بقصده، وهذا ما نجده عند التهانوي و«الذي نص على أن أهل العربية يشترطون القصد في الدلالة فما يفهم من غير قصد المتكلم لا يكون مدلولاً للفظ عندهم –

1- نفسه، ص 574.

2- ينظر: إدريس مقبول: الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيوييه، دار العالم الكتاب الحديث، ط1،

عمان، الأردن، 2006، ص563.

3- طه عبد الرحمان : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب،

2000، ص 45.

4- ينظر: إدريس مقبول، الأسس الإستمولوجية والتداولية، ص 357.

فإن الدلالة عندهم هي فهم المقصود لا فهم المعنى مطلقا بخلاف المنطقتين فإنها عندهم هي فهم المقصود لا فهم المعنى مطلقا سواء أَرادَه المتكلم أم لا.¹

أما المعالجة سيرل (searl) تتجلى في بربطه للقصدية بالاستعمال الحرفي فجاء ببناء مماثل لما استقر عند البلاغيين، في التمييز بين المعنى الحرفي (الأول، الحقيقي، الظاهر...) ، والمعنى غير الحرفي (الثاني، المجازي، المضمّر...) فقد رأى سيرل أن المتكلم:²

-أما أن يقول شيئا وهو يقصد شيئا آخر مختلفا عن المعنى المستفاد من الملفوظ (الاستعارة).

- وأما أنه يقول شيئا وهو يقصد عكس ما يستفاد من الملفوظ (السخرية)

-وإما أن يقول شيئا وهو يريد أن يقول شيئا آخر (الاستدلال والأفعال اللغوية غير المباشرة)

- وأما أنه يقول شيئا يطابق بالضبط ما يستفاد من الملفوظ.

2-الأبعاد التداولية للمتكلم والسامع في علمي المعاني والبيان:

أولا : علم المعاني:

أشرنا سابقا إلى العلاقة القائمة بين البلاغة والتداولية، وأن البلاغة تحمل في ثناياها أو ضمن علومها أبعادا متعلقة بالتداولية ومن بين علوم البلاغة نذكر علم المعاني، وتأتي فيما يلي إلى تعريفه، وتبيان علاقته بالتداولية.

1- التهانوي: موسوعة كشف اصطلاحات الفنون، ص 1322، ج2.

2- ينظر: إدريس مقبول: الأسس الابدستمولوجية والتداولية، ص 359-360.

علم المعاني:

«هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل لها من الاستحسان وغيره

ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره.»¹

وجاء في جواهر البلاغة:

«علم المعاني أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي بها يكون مطابقاً بمقتضى

الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سبق له.»²

وفي تعريف آخر نجد أن علم المعاني هو علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام بمقتضى الحال، وهو الطريق الذي يجب أن يسلكه الأديب للوصول هذه الغاية وفيه نحترز من الخطأ في تأدية المعنى المراد.³

ونجمل هذه التعاريف في أن علم المعاني هو مجموعة من القوانين التي يسير وفقها المتكلم ويراعي فيها مقتضى الخال ليحقق فيها الفائدة، ويبتعد عن الخطأ.

وأول من دون قواعد هذا العلم عبد القاهر الجرجاني، حيث هذب مسائله وأوضح قواعده، وقد وضح فيه بعض الأدباء والنقاد قبله نتفاً، الجاحظ، وأبى هلال العسكري، إلا أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه الجرجاني.

1- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 161.

2- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، تعليق سليمان صالح، دار المعرفة، ط2، بيروت، لبنان، 1428هـ، 2007، ص 46.

3- ينظر: يوسف أبو العدوس: مدخل الى البلاغة العربية، ص 46.

ينقسم علم المعاني إلى ثمانية مباحث، من بينها مبحث الخبر والإنشاء، فالكلام في نظر العلماء يكون خبراً أو إنشئاً، أما الأول **الخبر**: «فهو قول يحتمل الصدق والكذب، والمقصود بصدق الخبر مطابقته الواقع، والمقصود بكذب الخبر عدم مطابقته للواقع، فلو قال قائل: حضر زائر الذي تنتظر، فهذا خبر يحتمل الصدق والكذب، فإذا أخرجنا من البيت وتأكدنا من حضور الزائر، فالخبر صادق، وإن لم نر الزائر فالخبر كاذب».¹

أما **الإنشاء**: فهو «كلام لا يحتمل صدقاً أو كذباً لذاته، نحو اغفر و ارحم، فلا ينسب إلى قائله صدق أو كذب».²

ويرى الباحث مسعود صحراوي أن قضية الخبر والإنشاء التي تعرض لها القدماء متعلقة بظاهرة الأفعال الكلامية في التداولية حيث يقول: «في التراث العربي تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية ضمن مباحث علم المعاني، تحديداً ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنوية ب: "الخبر والإنشاء" لذلك تعتبر نظرية الخبر والإنشاء عند العرب مكافئة ل: مفهوم الأفعال الكلامية لدى المعاصرين».³

ونأتي فيما يلي لبيان مفهوم الأفعال الكلامية وعلاقتها بالخبر والإنشاء.

1- يوسف أبو العدوس مدخل إلى البلاغة العربية، ص 56.

2- أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة، ص 71.

3- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 49.

أفعال الكلام:

يعد هذا المفهوم الأساسي والجوهري الذي انبثقت منه التداولية : «فهو كل ملفوظ له نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك بعد نشاطا ماديا نحويا بتوسل أفعالا تحويلية لتحقيق أغراض إنجاز يد كالأمر والنهي والوعد والوعيد.... وردود أفعال تأثيرية تخص المتلقي»¹

ويعتبر أوستين (austin) هو الأب الروحي لهذه النظرية وقد ميز أوستين بين نوعين من الأفعال، أو الجمل، أو المنطوقات اللغوية، هما :

1- المنطوقات التقريرية التي تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة.

2- المنطوقات الأدائية التي تنجز بها الأفعال، أي تؤدي بها أعمال في أثناء نطقها حيث يقترن فيها النطق أو القول بأداء الفعل، أو إنجازه، وهي : لذلك – لا توصف بصدق ولا بكذب وإنما تكون- بحسب شروط معينة – موفقة الأداء أو غير موفقة.²

وهذا يعني أن الجمل حسب أوستين هي قسمان الأولى تقريرية ومثالها قولنا: السماء صافية، فهي تصف واقعا يمكن الحكم عليها بالصدق أو بالكذب، أما الثانية فهي أدائية كقولنا: أهب جزءا من مالي لدار الأيتام، فهي لا تصف واقعا ، ولا يمكن الحكم عليها بالصدق والكذب، وإنما تقاس بمدى توفقها أو إخفاقها على أرض الواقع، ومنه تتبدى لنا فكرة الفعل الإنجازي الذي يعرف كالآتي:

1- نفسه، ص 40.

2- ينظر: علي محمود حجي الصراف: في البراغماتية الأفعال في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة

الآداب ، ط1، القاهرة ، 2010، ص 29.

«هو الفعل الأساسي الذي يتأثر من خلاله معنى الانجاز، ويقصد به أن المتكلم حين ينطق بقول ما فهو ينجز معنى قصدية»¹.

ومنه نجد أن الفعل الإنجازي مركب من ثنائيتين هما: القول والأداء فالقول هو التلفظ، أما الأداء فهو ما يحمله ذلك القول من دلالات انجازيه، ويأتي أوستين إلى تقسيم الفعل الإنجازي إلى خمسة أقسام وهي:

1-أفعال الأحكام: وهي التي تعبر عن حكم يصدره حكم وليس من الضروري أن تكون الأحكام نهائية أو نافذة.

2-أفعال القرارات: وهي التي تعبر عن إتخاذ القرار في صالح شيء أو شخص أو ضده مثل: يأذن ، يطرد، يحرم...

4-أفعال التعهد: وهي التي تعبر عن تعهد المتكلم بفعل شيء أو إلزم نفسه به مثل: أعد، نعهد، أضمن...

5-أفعال السلوكية: وهي التي تعبر عن رد فعل لسلوكه الآخرين ومواقفهم ومصائرهم كالاعتذار والشكر والتعاطف...

5-أفعال الإيضاح: وهي التي تشغل لتوضيح وجهة النظر أو بيان الرأي وذكر الحجة مثل: الإثبات، الإنكار، المطابقة...²

1- نفسه ، ص 42.

2-ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د ط ، 2002، ص 69-70.

ونستخلص من خلال هذا أن هاته الأفعال تعبر عن حال المتلفظ بها أو المتكلم فهي تأتي لتحكم أو تقرر أو تتعهد ، أو تعبر عن سلوك ، أو تسعى للإيضاح فهي في مجملها أفعال تؤدي لبيانات غرض المتكلم. أما سيرل فكان تقسيمه للأفعال الإنجازية كالآتي: ¹

1- الإخباريات:

والغرض الإنجازي فيما هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة : وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم.

2- التوجيهات: وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة ، والمحتوى القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيئا في المستقبل.

3- الالتزامات: وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل .

4- التعبيرات: غرضها التعبير عن موقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس في هذا الصنف اتجاه مطابقة فالتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات. - الإعلانيات: والسمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أن أدائها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي.

وقد كان هذا التصنيف مبينا على ثلاثة أبعاد حسب سيرل هي: ²

أ- الغرض الإنجازي. ب- اتجاه المطابقة ج- شرط الإخلاص

1- ينظر: نفسه، ص 79.

2- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق في البحث اللغوي المعاصر، ص 78.

وتعتبر هذه العناصر الثلاثة على كون الفعل الإنجازي يشترط الإنجاز الحقيقي للفعل ومطابقتها للواقع مع الصدق والرغبة والإخلاص فيه.

أما معايير تمييز الخبر والإنشاء حسب العرب هي: ¹

- **معيار قبول الصدق والكذب:** وهذا هو التمييز الأشهر بينهم ، فالخبر هو ما يقبل الصدق أو الكذب، والإنشاء ما لا يقبل صدقا أو كذبا.

- **معيار مطابقة النسبة الخارجية:** فالخبر هو الخطاب التواصلية الذي نسبته خارجية والإنشاء ليس له تلك النسبة.

- **معيار قصد المتكلم:** اتخذ العلماء قصد المتكلم قرينة مساعدة حيث يصبح الكلام خبرا إذا نظم إلى اللفظ قصد اتخاذ النسبة الخارجية.

- **معيار عدد النسب:** ويقصد به أن للخبر ثلاث نسب، نسبة كلامية، نسبة ذهنية ، ونسبة خارجية، أما الإنشاء فله نسبتان كلامية وذهنية.

وبحسب تصنيف سيرل: «يمكن دخول معظم صور الخبر، بحسب النظرية العربية -إلى قسم الإخباري في النظرية الحديثة ، ومعظم صور الإنشاء بفرعية الطلب وغير الطلبية سنتدرج في الإعلانات والتوجيهات والتعبيرات والالتزاميات»²

ثانيا: علم البيان: يبحث علم البيان في الدلالات العقلية (الملازمات بين المعاني)، أو ما يندرج تحت قضايا المعنى المضمرة كما تقول كما تقول "كاترين أوركيني" فيتم فيه إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في الدلالة يكون المعنى فيها متجاوزاً المعنى المباشر و «ليست ظاهرة

1- ينظر: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة الآلية ومعجم سياقي، ص 101-102.

3- نفسه، ص 102.

التصريح والتلميح بغريبة عن المجتمع العربي فقد ركز العلماء العرب اهتمامهم على الناحية المنطوقة أساساً على ما يحمله القول من معاني والتي قسموها إلى معاني حقيقة وأخرى مجازية بعد ما ارتبط بالواقع حقيقياً، ما ابتعد عنه ليدخل في عالم خيالياً يعتبر مجازياً ولكن هل يمثل التصريح والتلميح كل من الحقيقة والمجاز بالمصطلحات القديمة؟¹

ومن هذا يجدر بنا القول أنّ الكلام العربي ينقسم إلى حقيقة ومجاز فالحقيقة ما لازم الواقع من وقائع، والمجاز ما انصرف عن الحقيقة ليلج إلى عالم الخيال.

وأبرز مجال يتناول هذا الطرح هو علم البيان بفروعه والذي يعرفه السكاكي بأنه:

«معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالانقضاء ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام التمام مراده منه.»²

إذن علم البيان هو العلم الذي يعبر عن معنى واحد بأشكال متباينة إما بتوسع الإفصاح عن دلالة ما، أو بانجاز الاحتراس من الوقوع في خطأ ما يؤدي إلى عدم فهم المراد من الكلام يقول الجاحظ: «فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى ، فذلك هو البيان».³

ووضع هذا العلم هو أبو عبيدة الذي دون مسائل هذا العلم في كتابه المسمى مجاز القرآن، وما زال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصل إلى الإمام عبد القادر فاحكم أساسه وشيد بناءه ، ورتب قواعده وتبعه الجاحظ وابن المعتز وقدامه وأبو جلال العسكري.

وفائدته الوصول إلى أسرار كلام العرب منظومة و منثورة، ومعرفة ما فيه من تفاوت

في فنون الفصاحة والبلاغة التي يصل بها إلى مترتبة عالية⁴

ومن بين الأبواب التي يحتويها علم البيان، نأتي إلى ذكر ما يلي:

1- ذهبية حمو الحاج: التداولية واستراتيجية التواصل، دار رؤية ، ط 1، القاهرة، 2015، ص.21

2- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 329.

3- الجاحظ: البيان والتبيين، ص 72.

4- ينظر: أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة، ص 223-224.

التشبيه: هو التمثيل : « وهو مصدر مشتق من الفعل شبّه بتضعيف الباء يقال: شبهت هذا بهذا تشبيها، أي مثلته به.»¹

أما ابن رشيق فيعرفه بقوله: «التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه.»²

ويفضى التشبيه إلى شد ذهن السامع وتحريك طاقته الفكرية، وتوجيه عنايته للتأمل والتفكير، فالتشبيه يمكنك أن تجعل المعنى مرغوبا محييا في النفس كما: يمكن أن يكون منفرا للنفس.

وأركان التشبيه: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه التشبيه ومثال التشبيه لو قلت «محمد كالأسد فيستخدم المتكلم التشبيه لأداء فعل انجازي غير مباشر يدل على مدح محمد من خلال تشبيه شجاعة وقوة الأسد»³

وهذا ما يقوم به المتكلم في كفاءته التداولية بعملية ذهنية سريعة جدا، أن يستحضر سمات المشبه أولا، ثم يختار السمة الإضافية التي تميز بها في سياق معين أي: (محمد - إنسان ذكر حي بالغ)، (شجاع قوي).

هنا يستحضر ذهنيا في معجمه الذاتي الكائنات التي تعد القوة والشجاعة من سماتها، فيختار هذه الكائنات تميزا بهاتين الصفتين وأدومها فيها، حيث نجد الأسد هو الأكثر تميزا

1- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار الأفاق العربية، ط1، مصر، القاهرة، 2006، ص 14.

2- ابن رشيق القيرواني في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع ، ط1، القاهرة ، 2006، ص 237، ج1.

3- علي محمود حجي الصراف: في البراغمية الأفعال الإنجازية العربية المعاصرة، ص 149.

بهاتين الصفتين ، فيسقطا جميع السمات الأخرى، حتى لا يختلط الأمر على المتلقي عند التشبيه¹.

والتشبيه عند السكاكي «لا يصار إليه إلا لغرض»²، وقد رد هذه الأغراض والمقاصد للمشبه وبعضها إلى المشبه به، أي أن التشبيه يعتبر إستراتيجية يعتمد عليها المتكلم أو المرسل إلى إبراز قصده وغاياته، وهنا يظهر البعد التداولي .

ومن الأغراض التي تعود للمشبه، والتي يظهر فيها الجانب التداولي³:

- بيان حال المشبه، وذلك إذا كان السامع يحمله.

- لتقوية أو تقرير حال المشبه في ذهن السامع وتمكينها.

- تزيد صورة المشبه إلى السامع أو تشويبه.

الاستطراف: حيث يهدف المتكلم إلى أن يكون صورة غريبة غير مألوفة لدى السامع يلعب فيها الخيال دورا أكبر، كي تحدث عنده استطرافا وإمتاعا.

2- الاستعارة:

تعتبر الاستعارة من أبواب المجاز و « تعني طلب الإعارة، أي طلب شيء للانتفاع به على أن يردده المستعير إلى صاحبه بعد الانتفاع منه.

أما الاستعارة عند البلاغين فهي استعمال لفظا في غير وضع له لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة عن إرادة المعنى الموضوع له»¹

1- ينظر: نفسه، ص 148.

2- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 346.

3- أم الخير سلفاوي: البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال مفتاح العلوم للسكاكي، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009، ص 171، مخطوطة.

والاستعارة هي نوع من أنواع المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، والاستعارة قسمان تصريحية ما صرح فيها بلفظ المشبه به وحذف فيها المشبه، ، ومكنية ما حذف فيها المشبه به وصرح بالمشبه.

« والاستعارة نسيج تتداخل في تكوينه خيوطا فكرية ونفسية يمتد إلى منابع ثقافية

مختلفة، وفهمها يقتضي متلقيا يتمتع بمستوى ثقافي وفني متميز، لمعالجة البنية الاستعارية وصولا للدلالة التي تختبئ تحت قشور الألفاظ، والمتلقي مطالب بتجاوز المعنى السطحي للاستعارة، ولا يتأتى له هذا إلا بإضافة أبعاد دلالية للاستعارة ليصبح شريكا للمبدع في الأبعاد الدلالية لها، فلا ينبغي للمتلقي أن يقتصر دوره على الاستقبال والهضم، فالبناء الاستعاري الذي يخلقه المبدع، يبقى بناء ناقصا أو مفتوحا ينتظر دور المتلقي»²

إن دراسة الاستعارة من خلال رؤية تداولية تشعب في عدة زوايا تبعا لتعدد الأفكار التداولية التي ترتبط بالاستعارة، حيث قسم سيرل الاستعارة إلى ثلاثة أقسام فهي:³

***المنطوق الإستعاري البسيط:** وفيه تقوم الاستعارة على الاستبدال المحدد للكلمة بكلمة

أخرى ، أي كلمة ملفوظة بأخرى مضمرة وتمثل مقصود المتكلم.

***المنطوق الاستعاري غير محدد:** وهو يتسم باتساع مجال المعاني التي يحتلها المنطوق

الإستعاري إذ لا يتحدد لمضمرة هنا في كلمة واحدة بل تتشعب بين عدة دلالات مجازية يحتملها البعد المجازي للاستعارة.

1- مسعود بودوخة: مدخل إلى البلاغة العربية وعلومها، ص 70.

2- عمر عبد الهادي: علم بلاغة من الأصالة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2012، ص

104.

3- عيد بلبع : التداولية البعد الثالث في سموطيقا موريس من اللساني إلى النقد الأدبي والبلاغة، ط1، القاهرة، 2009، ص

366.

*الاستعارة الميتة: وفيها يهمل المعنى الأصلي ليكون المعنى المجازي الإستعاري هو الملفوظ المقصود.

ونعني بالاستعارة الميتة أن هناك نمطا من الاستعارات ابتعدت عن المعنى المجازي واقتربت من المعنى الحقيقي ولم يعد استعمالها يعد ضربا من المجاز، وهذا لكثرة استعمالها وتداولها بين الألسنة ومنه أصبح المعنى المجازي هو المعنى الملفوظ والمقصود في آن واحد.

وقد نبّه الجرجاني إلى هذا بقوله: « أعلم أن من شأن هذه الأجناس أن تجرى فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد، أفلا ترى أنك تجد في الاستعارة العامي المبتذل كقولنا: رأيت أسدا، ووردت بحرا ولقيت بدرا، والخاص النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفصول ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال»¹.

واستنادا إلى رأي سيرل والجرجاني نرى أن سبب الحكم على الاستعارة بأنها ميتة هو كثرة تداولها بين الناس لا غير.

وهذه الرؤية الجرجاني تتلاقى مع الرؤية الغربية التي يحددها لأكوف وجنسون والمتمثلة فيما يلي:²

1-الاستعارة الوضعية التي تظهر في لغة الناس بعيدة كل البعد عن أي قصد إبداعي.

2-الاستعارات غير الوضعية: التي تتعدى نسبتها الفكر العادي، والتي تنتمي كذلك إلى جزء الإبداعي التخيلي.

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ص 262.

2- ينظر: جورج لأكوف ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2009،

كما يشير الجرجاني إلى أمر آخر مفاده : «أنّ الكلام على ضربين ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها على الغرض»¹ وهذه الرؤية لعبد القاهر تتوافق مع رؤية سيرل في قوله : بأن التميز بين المعنى الجملة ومعنى قول المتكلم هو القاعدة الأساسية للتمييز بين الخطاب الحرفي والخطاب الاستعاري.² فسيرل يميز بين المعنى المباشر الذي يتعلق بالاستعمال المباشر ويكون مطابقاً لحرفية الملفوظ، أما المعنى الثاني فيتعلق بالاستعمال غير المباشر والمقترن باللفظ وظروف التخاطب، ويفهم السامع المعنى الثاني من خلال المعنى الأول عبر عملية الانتقال، التي تتم في ذهنه ويحاول من خلالها الربط بين الملفوظات وبين مقامات التلطف، وهو العمل الذي يساعده للوصول إلى القصد التواصلية للمرسل.

أما يول جرابس(Grice): فذهب في ذلك إلى التفريق بينما نقوله وما نقصده ، إذ للأفعال غير المباشرة معنى حرفي وهو الوقوف على المعنى الظاهر ، ومعنى خفي غير ظاهر وهو المعنى المستلزم، وبالتالي ينتقل الاستلزام من المعنى الحرفي إلى المعنى المتضمن وجاء هذا التفريق من خلال الفكرة التي كانت من أهم إسهاماته والتي أطلق عليها الاستلزام الحواري.³

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 262.

2- ينظر: عيد بليغ: التداولية ، ص 205.

3- ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية ، دار الكتب الجديد المتحدة، ط1، بنغازي ، ليبيا، 2010، ص 25.

الكناية والمجاز:

الكناية: هي لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، أما المجاز: فهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة أو مناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى الذي نقل إليه، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي.¹

«ولعل الجامع بين الكناية والمجاز في الرؤية التداولية هو أن كليهما يأتيان في صميم فكرة الفرق بين المعنى الملفوظ والمعنى المقصود، فمعنى الملفوظ شيء فيهما ومعنى المتلفظ شيء آخر، وبذلك يدخلان في دائرة الرؤية التداولية لأن هذه الرؤية تتجاوز البحث في المعنى الحرفي للملفوظ أو المعنى اللغوي الصوري الخالص، ويتعداه إلى البحث في المقصود أو معنى المتكلم»²

ويعرض الجرجاني لبعض قضايا الكناية بقوله: «أولا ترى أنك إذا قلت : هو كثير الرماد ، أو قلت طويل النجاد أو قلت نؤوم الضحى فانك في جميع ذلك لا تفيد عرضك الذي تعني من مجرد اللفظ.ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهرة ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو عرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر انه مضياف، ومن طويل النجاد انه طويل القامة، ومن نؤوم الضحى المرأة أنها مترفة لها من يكفيها في أمرها»³

وبذلك يقر الجرجاني بأن تحديد القصد في المعنى الثاني هو غرض المتكلم.

1- ينظر: مسعود بودوخة: مدخل على البلاغة العربية وعلومها، ص 82.

2- عيد بلبع: التداولية ، ص 335.

3- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 262.

«ومن هنا يتضح أن الكناية تعبير عن قصد ما بصورة غير مباشرة مما يجعلها أداة

لإنجاز أفعال غير مباشرة بتعبير "جون سيرل" أو معاني مستلزمة بتعبير "بول جرايس" إذ يتم ترك الصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه مما يجعلها أمام بنيتين للكناية، بنية سطحية تتمثل في الدلالة الوضعية للصياغة اللغوية (معنى ظاهر مكنى به) وبنية عميقة تتمثل في

الدلالة المستلزمة عن المعنى الأول حين انزياحه عن دلالة صيغة المباشرة»¹

ويسعى السامع دوماً إلى فك الشفرات المتجلية في المعنى الظاهر للملفوظ ليصل إلى المعنى الخفي، الذي يعبر عن غرض المتكلم ومقصوده ومراده، ويظهر إذن البعد لبعده التداولي للكناية في كونها لا تدل على المعنى المباشرة، وإنما تنتقل بملتنقى الخطاب إلى دلالات أخرى مستلزمة، متجاوزة بذلك المعنى الحرفي.

3- دور السياق في توليد المعنى بين المتكلم والسامع:

يعد السياق عنصراً هاماً في العملية التواصلية، وقد أولاه القدماء والمحدثون أهمية بالغة وجعلوه ركيزة أساسية لفهم المعنى بين المتكلم والسامع، فما هو السياق؟ وما هي أنواعه؟ وفيه يتمثل دوره؟

السياق:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: السياق من ساق، يسوق، سائق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً، وال**سياق**: نزع الروح، وفي الحديث حضرنا عمر بن العاص وهو في سياق الموت.²

1- باديس لهويمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم السكاكي، مذكرة ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر ، 2011-2012، ص 243.(مخطوط).

2- ينظر: ابن منظور : لسان العرب , مج العاشر, ص 167, (سوق).

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾¹

إصطلاحاً: يعرف السياق على أنه «مجموعة لظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام، وتسمى هذه الظروف في بعض الأحيان السياق»².
وينقسم السياق إلى:³

السياق اللغوي: الذي يتعلق بتراكيب اللغة وألفاظها، إنه تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب من وحدات صوتية وصرفية، ومعجمية، وما بينها من ترتيب وعلاقات تركيبية.

سياق التلفظ: أو سياق الحال، أو سياق الموقف، ويتمثل في الظواهر شبه اللغوية، وهي جملة من الملابس والأحوال والظروف التي تتكاثف جميعاً في التأثير على الدلالة الحرفية.

وهذا ما يوضحه إبراهيم الغويل بقوله: «ولعل العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى

الاصطلاحي لكلمة السياق تتجلى في أن استخدام مصطلح السياق تابع من الظروف المحيطة بالكلام، سواء منها ما يتعلق باللغة وتراكيبها أو الملابس الخارجية، تعد وكأنها تسوق الكلام، لان هذه الظروف تكون مصاحبة له ولهذا جعلت وكأنها تقوده أو تسوقه أمامها، وبهذا يكون

خاضعاً لهذه الظروف، وعندما يقال: اثر السياق في المعنى فإنه يقصد به اثر هذه الظروف،

أي مدى تأثيرها في المعنى وخضوعه لها، وتلونه بلونها»⁴

وللسياق عناصر تتمثل فيما يلي:¹

1- ق، 21.

2- المهدي إبراهيم الغويل: السياق وأثره في المعنى، أكاديمية الفكر الجماهيري، د ط، بنغازي، ليبيا، 2011، ص 7.

3- نفسه، ص 4.

4- المهدي إبراهيم الغويل: السياق وأثره في المعنى، ص 15.

الأطراف المتخاطبة: يوجد على الأقل في كل موقف تواصلية شخصان أحدهما فاعل حقيقي، والآخر فاعل على جهة الإمكان، أي المتكلم والسامع، ويعتبر المتكلم والسامع أو المخاطب مركز العملية التخاطبية، فهما اللذان ينقلان اللغة من مجال الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، وعبر فعلها هذا يستخدمان اللغة استخداما سياسيا، يقوم على انتقاء ما يتوافق مع الوضع الذي يعيشانه.

الزمان والمكان: فهما من أهم العناصر في بناء تصور السياق ويؤثران بشكل جلي على خيارات المتكلمين، وتتألف العناصر المشتركة المكانية مع الزمانية، التي تحدد تبعا لمحددات معينة .

القناة: تشكل عنصرا بالغ الأهمية في السياق، سيما السياق الأدبي، إذ تؤثر في تسيير العملية التواصلية، وتخضعها لعناصر تتوافق مع هاته القناة دون ذلك.

الرسالة: يسمح نمط الرسالة بتشكيل رؤية عن السياق، فإذا كانت الرسالة كلاما عاديا، فإن المتخاطبين يفهمونها في هذه الحدود أما كانت الرسالة عملا جماليا كالشعر والرواية أو غيرها من الأنماط الأدبية الأخرى، فإن سياقات أخرى تتولد تبعا لنمط الرسالة، فسياق النص الشعري ومتطلباته غير سياق النص الروائي وهكذا².

1- رحيمة شيتير: تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب أنموذجا، مذكرة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة

الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009، ص 211-212. (مخطوط)

2- نفسه، ص 213.

أما عناصر السياق في التداوليات الحديثة حسب فيلسوف اللغة الدكتور طه عبد الرحمن تتمثل فيما يلي:¹

العنصر الذاتي: ويشمل معتقدات المتكلم + مقاصده + اهتماماته + رغباته.

العنصر الموضوعي: ويشمل الوقائع الخارجية (الظروف الزمانية والمكانية).

العنصر الذواتي: ويشمل المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، أو ما يسمى بالأرضية المشتركة.

والجدير بالذكر هو أنّ "العنصر الذواتي" المشتتمل على المعرفة المشتركة أولته اللسانيات التداولية اهتماما بالغا حسب ما يراه إدريس مقبول لما له من أهمية خصوصا في عملية التأويل. « فالغالب على المتكلم من وجهة نظر تداولية أن لا يذكر في كلامه إلا ما كان يعلم أنّ المستمع يحتاج إلى معرفته ليتبين الفائدة منه، معتمداً في ذلك على قدرة السامع على استحضار المحذوف ، أمّا لوضوحه أو لقربة أو لشهرته، فتكون عناية المتكلم بالكلام على حسب حال السامع من الإدراك ومعرفته بالمعهود، وعلى قدر مشاركته في الفوائد والمعلومات، فيضمّر ما علمه المخاطب ويظهر ما جهله وغاب عنه، وفي المنظور التداولي على قدر ما يأتي المتكلم من الإضمار يأتي السامع من الجهد والفهم»².

1- إدريس مقبول، الأسس الأبتمولوجية والتداولية للنظر النحوي في كتاب سبويه، ص 305.

2- إدريس مقبول: الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، دار عالم الحديث، ط1، عمان

والإهتمام بظاهرة السياق ليس جديد العهد، إنما هو وليد قرون ماضية فقد لاحظ البلاغيون منذ القديم هذه الظاهرة - السياق - من خلال مقولاتهم الخالدة « لكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبته مقام»¹

ويظهر هذا جليا اتجاه عبد القاهر السياقي من خلال ربطه بفكرة النظم فهو القائل: « إنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنَّ الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ

ومما يشهد على ذلك أنك ترى الكلمة تروك وتأنسك في موضع، ثم تراها يعينها تتمثل عليك وتوحشك في موضع آخر»²

ومن خلال هذا القول لعبد القاهر يتبدى لنا أنَّ اللفظة لا تكتسب قيمتها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه فلو استخدم المتكلم الألفاظ استخداما حسنا حسب السياق المناسب لها اكتسب اللفظة تقبلا وأنسا لدى السامع، ولو وظيفها المتكلم بعكس هذا أي لا تتوافق مع السياق الذي وظفت فيه سيؤدي بالضرورة إلى نفور السامع.

كما أشار الجرجاني عبد القاهر إلى أنَّ الكلمة لا تؤخذ بمعزل عن السياق، ولم يهتم بالمعنى وحده بل يرجع إلى إتلاف اللفظ والمعنى، ودخولهما في تعبير لغوي واحد مرتبط بمقامة فيستعمل كثيرا من المصطلحات التي تبين اهتمامه بهذا الجانب مثل (النظم، التركيب،

1- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 19.

2- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 412.

البناء، التعليق، مقام الاستعمال، مقتضى الحال)، وهذه المصطلحات كثيرا ما ترد في ملاحظاته حول اللغة وعلاقة استخدام المفردة، ومنه نجد أنّ المعنى لا يتحقق إلا بحسن نظام المفردة مع مثيلاتها من المفردات، وبها يتحقق الإثلاف والتلاؤم بين المفردات وتشكل في تركيب لغوي يلائم بمقامة.

«وتقوم نظرية السياق في الفكر اللغوي الغربي على مجموعة من المفاهيم الأساسية التي تؤكد في مجملها على ضرورة بيان معنى الجملة الملفوظة بها لدى المتلقي، إذا يعمل المتكلم قدر استطاعته على إيصال فكرة أو شعور ما إلى متلقي موجود أو مفترض، فيبتدأ باختيار التركيب المناسب لما يريد أن يقوله ضمن موقف خاص أو سياق ثقافي عام»¹

ومن خلال هذا ينقسم السياق إلى ثلاثة أنواع:²

السياق اللغوي: هو السياق الداخلي: أو سياق النص وهو المحدود بحدود النص لا يتجاوزه ويبدأ بينة الكلمة المفردة بوصفها السياق للكلمات، والجمل بوصفها سياق للنص.

1- عرفات فيصل المتّاع: السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي مؤسسة السّياب، ط1، الموصل العراق، 2013، ص13.

2- ينظر: عبد بليغ، التداولية، ص 204-210.

سياق الموقف: هو السياق الخارجي: وهو المتعلق بالظروف والملابسات غير اللغوية المصاحبة لإنتاج القول، وهذه الملابسات عرفت في التراث العربي بالحال والمقام أو الموقف، وتتضمن المحادثات المتعلقة بالمرسل والمستقبل، كما أطلق عليه البعض السياق العاطفي.

السياق الثقافي: «يعني تحديد المحيط الثقافي الذي نشأ فيه النص فكل عصر له ثقافته الاجتماعية والسياسية والدينية التي تميزه عن غيره من العصور، ومن ثم فإن دراسة أي لغة وبمعزل عن المحيط الثقافي الذي نشأت فيه هي دراسة فاشلة، ولا يمكننا الوصول إلى نتائج حقيقته من خلالها»¹.

ومن خلال ما ذكرناه نجد أنّ للسياق ثلاثة أنواع، فأولها ما ارتبط بالنص وتتعلق بنيته الداخلية، وهو السياق اللغوي، وأما ثانيها فما خرج عن الإطار اللغوي ليلج إلى العالم المحيط بالخطاب من ظروف زمانية ومكانية وغيرها، هو سياق الموقف، وأما ثالثها فيتمثل في السياق الثقافي الذي بعد البؤرة التي ولد منها النص أو الخطاب متجليا في العوامل الاجتماعية والسياسة والدينية وغيرها.

وعامة تؤدي معرفة السامع أو المتلقي بجميع أنواع السياق إلى فهم معنى أو محتوى النص أو الخطاب عموما...

وبذلك نرى « أنّ السياق يفتح آفاق لعملية التأويل كما يفتح في الوقت نفسه استيعاب آفاق متعددة تتعلق بوجود النصوص كما تتعلق بتلقيها وإنّ السياق في انفتاحه هذا يمتد ويهمن على الرؤية التداولية، وقولنا بأن السياق رافد للتداولية فلأنه سابق عليها في الوجود في السياق المعرفي العربي الإسلامي، وليس ثم شك في استحضر رؤية المشهد المعرفي العربي الإسلامي للسياق في الحقوق المعرفة المختلفة مما يغذي الرؤية التداولية من جانب،

1- عرفات فيصل المناع: السياق والمعنى، ص 26، 27.

ويأتي لها بمثابة المسوغ السياقي الذي يؤطد رؤاها وقضاياها في المشهد العربي الإسلامي»

1

4- الحجاج وأثره في تقوية الأسلوب بين المتكلم والسامع:

يقتضي التواصل وجود طرفين هما المتكلم (المخاطب) والسامع (المخاطب) يرمي أحدهما للتأثير في الآخر، تبرز فيه الأدوات والآليات التي ينتقيا أحدهما بوجهها للآخر الذي يؤولها، ولتحقيق ذلك يتبنى المخاطب طرقاً ومبادئ معينة، تنعت بالاستراتيجيات التأثيرية الإقناعية والقائمة على الحجاج. فما هو الحجاج؟ وما هو دوره في تقوية الأسلوب بين المتكلم والسامع.

الحجاج: لغة: هو من حاجَّ قال ابن منظور: «حاجته، أحاججه، حجاجا ومحاجة حتى حجته أي غلبته بالحجيج التي أدليت بها وحاجة محاجة وحجاجاً، نازعه الحجة. والحجة البرهان²»

اصطلاحاً: يقدم بيرلمان(perlmman) تعريفاً للحجاج يذكر فيه وظيفته « هو حمل المتلقي على الاقتناع بما يعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع³» فالحجاج بمعناه العام « فعالية لغوية خطابية قائمة على قضايا من شأنها الإقناع والتأثير في نفس المتلقي، وهي ظاهرة ملازمة لإنتاج الخطاب عند البشر منذ كانوا، بيد أن الخطابات تتفاوت في الحجاجية،

1- عيد بلع: التداولية ، ص 225-226.

2- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، د ط، بيروت، المجلد الرابع، ص 38 مادة (ح ج ج).

3- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن 2هـ، بنياته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط1،

2001، ص 21.

فنظرية الحجاج هي القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، ويمكن وصف الحجاج بالحوار اللغوي القائم بذاته على الاستدلال البرهاني والحمل على الإقناع والتأثير¹ «
 إذن الحجاج هو وسيلة من وسائل التعبير أو التوصيل بين المتكلم والسماع، يسعى بها كل طرف بيتهما إلى التأثير في الآخر و استمالاته نحو رأيه ومواقفه، ويقوم على الإقناع واستحضار الأدلة والبراهين.

ونظريته الحجاج في اللغة وضع أسسها اللغوي الفرنسي ديكرود منذ سنة 1973، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطاب وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من فكرة الشائعة التي مؤداها: أننا نتكلم عامة لقصد التأثير²

وللعلمية الحجاجية عناصر تتمثل فيما يلي:³

1- بن الدين بخولة: الحجاج في التداولية اللسانية، مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي، جامعة ابن خلدون، تيارات، الجزائر، 2013، ع 3، ص 171.

1- ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، دار عالم الكتاب الحديث، ط1، إربد، الأردن،

2012، ص 29.

2- إيمان درنوني: الحجاج في النص القرآني، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الأدب واللغة، جامعة

الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2013، (مخطوط)

-إنسان مرسل

- إنسان ملتقط

- إقامة الاتصال بين المرسل والمتلقي.

- لغة مشتركة

- محتوى لغوي

ويظهر لنا من خلال هذا أن هناك علاقة بين المُجَاج والمتلقي (السامع) تبدو ومن خلال

تقابل الصفات بين كلا الطرفين والتي يمكن تحديدها في ما يلي:¹

- الثقافة والمنزلة العلمية الاجتماعية

- السن

- المعتقدات الدينية والأخلاقية

- طرائق التعامل مع الآخرين عند كل طرف منهما

3- ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة

مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2005، ص173.

إذن هاته الصفات التي تجمع بين المُجَاج والمتلقي، وبالإضافة إلى هاته الصفات نجد أن هناك مبادئ للتخاطب وجب على المتحکم الالتزام بها هي:

1- مبدأ الكم: يمثل مبدأ الكم في « إعطاء المخاطب للمتلقى القدر اللازم من المعلومات ليتحقق الخطاب¹ » ويهدف هذا المبدأ التي تجعل المتكلم إسهامه في الخطاب بالقدر المطلوب حسب ما تمليه الحاجة، فلا يقوم بتقديم معلومات أكثر مما يلزم وفي المقابل ذلك يستفيد المتلقي ويثري معلوماته والخطاب المفيد هو ما يترتب عنه نتائج يستفيد منها المتلقي.

2- مبدأ الصدق: و ينص هذا المبدأ على «أن تكون المخاطب صادقاً فيما يذهب إليه، أي تجنب الكذب، مقراً بالمعلومات التي يتلفظ بها»²، بمعنى أن يجعل مساهمته في الخطاب لائقة وأن يقدم الحجج المقنعة والكافية وأن لا يتحدث عما لا يملك عنه حججاً وأدلة كافية ومقنعة، وصدق الخطابات يتمثل في قول الحقيقة كما يعتقدونها المخاطب في إدراكه للواقع.

3- مبدأ العلاقة: يفترض هذا المبدأ «أن يكون الخطاب مناسباً للمقام»³ أي يجعل المخاطب كلامه ملائماً للمقام والواقع حيث ساعد المتلقي على لتفادي الغموض وسوء الفهم.

4- مبدأ الكيف: وينص على «أن يكون المخاطب واضحاً متجنباً اللبس والغموض، متجنباً بالافصاح والايضاح»⁴، بمعنى أن يكون كلامه واضحاً لا لبس فيه معتمداً كافة الحجج التي تسهم في توضيح المعنى وتقريبه إلى المتلقي، فلا يذكر إلا ما كان مؤمناً بصدقه، ومطابقاً للواقع. ودلالة الخطاب الحجاجية لا تتوقف على الظاهر من الملحوظ فحسب، بل يمكن أن

1- ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلطف وتداولية الخطاب، ص 173.

2_ نفسه، ص 173.

3- نفسه، ص 173.

4- نفسه، ص 173.

يكون الحجاج بالخطاب التلمحي أيضا , ويزواج المرسل بين هذين الضربين من الحجاج كما يزواح بينهما في أغراض الخطاب الأخرى: لأن المرسل يفهم ما يضمره في خطابه تماما مثلها يفهم ما يظهر فيه، فإذا كانت تتجلى كفاءة المرسل التداولية في صناعة الخطاب، فإنها تتجلى الكفاءة التداولية للمرسل إليه عند تأويل الخطاب للوصول إلى مقاصد المرسل وإدراكه حججه¹

ومنه نرى أنّ هناك نوعان من الخطاب الحجاجي وهما الصريح والضمني، فالأول ما يفهمه السامع من ظاهر القول، أما الثاني فما كان مضمراً خلف القول ولا يتجلى له فهمه إلا من خلال استخدام الآليات التداولية المتمثلة في تأويل القول ومحاولة الوصول إلى قصد المتكلم، ومعرفة الظروف المحيطة أو السياق الذي ورد فيه خطاب المتكلم. « وإذا كانت اللّغة هي معالم في طريق الحجاج يهتدي بها الخط لاستماله المتلقي وإقناعه وضمنان إذعائه لمضمون هذا الخطاب فلا شك أنّ هذه اللغة تركز على آليات دقيقة تؤدي الغرض وتصل إلى المقصود، وهي الأفعال اللغوية أو الأساليب الانشائية كما يسميها البلاغيون والتي تعد إحدى مكونات الحوار أو الخطاب الأساسية ينتقي منها المخاطب أبلغها وانسبها، لذا تتميز لغة الخطاب الحجاجي عن غيرها في تأثيرها الإقناعي بجميع صور وإشكاله»² لذا فالهدف الأساسي الذي يقوم عليه الحجاج هو تحقيق الإقناع «ودفع المتلقي إلى التسليم لنتائج، أو تبينها واتخاذ موقف ما بعد تسخيرها لكافة الوسائل اللغوية التي تتم عن مهارة صاحبها وقدراته الحجاجية العالية في التأثير على المتلقي وكسب ودّه وتأثيره فالفاعلية الحجاجية تبنى على حسن عرض المقدمات المقضية إلى النتائج الأكثر إقناعاً، يصل إليها المتلقي بفعل

5- ينظر: نفسه، ص174.

1- جميلة بكوش:حجاجية اللغة في الحوار القرآني، مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2013، ع3، ص202.

امتلاكها كفاءات وقدرات ذهنية تسمح له بتوظيف افتراضاته المسبقة عن الموضوع وكذا معارفه اعتمادًا على قدراته الاستنتاجية»¹

2- فوزية زيار: الخطاب الحجاجي في لافتات أحمد مطر، مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2013، ع3، ص222.

الختمة

- يحظى المتكلم والسامع في البلاغة العربية بعناية فائقة و يتعلق كل منهما بالآخر فلا يكتمل دور المتكلم إلا بالسامع والأمر ذاته بالنسبة للسامع فهما مترابطان ويتحكما في تحديد المقاصد وضبط المعنى, وقد توصلت من خلال دراستهما إلى نتائج كالآتي:
- تدرس التداولية اللّغة حال الاستعمال، وتعني بالأبعاد الخطابية الاستعمالية وتهتم بأقطاب العملية التواصلية فتهتم بالمتكلم ومقاصده، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية.
 - ويتمثل دور البلاغة العربية في أغلب تعاريفات البلاغيين القدامى في كونها أداة للإفهام والتأثير في المتلقي وقف مقاصد المتكلم والسياق الذي يرد فيه الخطاب وهو ما يجعلها تتقاطع مع التداولية كثيراً في مجال الاهتمام .
 - علم البلاغة يحمل في طياته بذور التداولية، فكل من البلاغة العربية والتداولية يعتمدان على طرفي الخطاب: المتكلم والسامع، فقد حاولت البلاغة أن تمدّ المتكلم بكل الوسائل البلاغية والتعبيرية للوصول إلى غرضه و التأثير في هذا المتلقي، كما سعت لضمان أن يكون علامة فصيحاً ناجحاً ومقبولاً عند السامع، كما أنّ من أهم شروطها أن يكون الكلام موافق للمقام أو ما يسمى موافقة الكلام المقتضى الحال، وهو حال ومقام كل من المتكلم والسامع، وكذا مراعاة مرتبة السامع، كما ركزت على طبيعة هذا المتلقي وقدرته التأويلية للوصول إلى قصد المتكلم، فقد كانت البلاغة تعي أنّ الكلام يوجه إلى أنماط متعددة ومختلفة من السامعين.
 - ساهمت البلاغة في إثراء جميع أنواع الخطاب وهذا بأساليبها المتنوعة والمتعددة والتي يسعى المتكلم من خلالها إلى شدّ إنتباه ذهن السامع وإفهامه وإقناعه.
 - اعتمد البلاغيون مبدأ الإفادة والقصد وذلك من خلال علم المعان فهذا العلم يهتم بالتراكيب المفيدة دون غيرها، أما معيار القصد فهو مبدأ الذي يتم من خلاله تحليل أساليب الكلام وتراكيبه سواء في معانيها المباشرة أم في معانيها الثواني
 - تفتنّ البلاغيون العرب لظاهرة الأفعال الكلامية من خلال دراستهم لظاهرة الخبر والإنشاء كما أنهم وضعوا معايير للتمييز بينها.
 - الغرض من الفعل الإنجازي إلّتزام المتكلم القيام بفعل ما تجاه السامع، على أن يطابق السلوك لاحقاً ما تم التعبير عنه سابقاً.

- نجاح الفعل اللغوي لا يتحقق إلا بحضور عوامل لها دور هام هي المتكلم والسامع والقصد والسياق وكل الظروف المحيطة بالفعل.
- التشبيهات والتمثيلات الحسية تحدد المعاني وتقرب الحقائق وتؤثر في نفوس السامعين لما لها من دقة تصوير الحقائق والتأثير في نفوس السامعين ووضوح المعاني وإنجاز الألفاظ.
- للسياق دور بارز في كشف وتحديد دلالات ومقاصد المتكلمين، ويقابل مصطلح السياق في الدراسات الحديثة مصطلح المقام أو مقتضى الحال في البلاغة العربية، والتي تشمل كل الظروف المحيطة بالخطاب، والتي لا يمكن تجاوزها أثناء محاولة فهم الخطاب.
- الحجاج من أهم روافد البحث التداولي، في الحين ذاته نجد أنه أهم ركيزة في البلاغة والتي يسعى من خلالها المتكلم إلى إقناع السامع بآرائه وأفكاره.
- موضوع الحجاج في البلاغة هو استعمال تقنيات الخطاب التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أفكار وآراء، أو أن تزيد في وجه ذلك التسليم.
- وظيفة البلاغة العربية تحقيق التواصل في أوضح صورته بين المتكلم (المتلفظ بالخطاب) والسامع (المتلقي) وضمان إفادة المتكلم سامعه معنى واضحاً، وضمان تحقيق السامع "فائدة" من تراكيب المتكلم. وهي سمة تداولية مهمة في بلاغتنا تكشف مدى التعلق الوظيفي بين المتكلم والسامع وارتباط كل ذلك بالمعنى.
- بذلك تظهر الأبعاد التداولية للبلاغة العربية في الاهتمام بكل من طرفي التواصل: المتكلم والسامع وإقناعه وإنجاح العملية التواصلية بين طرفي الخطاب، فكل هذا يمكن أن يثبت البعد التداولي في بلاغتنا العربية.

مكتبة البحث

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن ابي النجود.

- 1- أحمد المتوكل اللسانيات الوظيفية، دار الكتب الجديدة المتحدة ، ط 1، بنغازي، ليبيا، 2010.
- 2- إدريس مقبول: الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي، عند سبويه، دار عالم الكتاب الحديث، ط1، عمان، الأردن، 2006.
- 3- إدريس مقبول: الأفق التداولي لنظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، دار عالم الحديث، ط1، عمان، الأردن، 2014.
- 4- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،المغرب ،1994.
- 5- التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، مكتبة ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، ج 2.
- 6- الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج1.
- 7- جميل عبد المجيد: البلاغة والإتصال: دار غريب، د ط، نصر، القاهرة، 2000.
- 8- الجوهرى أبو نصر اسماعيل بن حمادة الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار عالم الحديث، دط، مصر، 2009.
- 9- حسن حامد صالح: التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار ابن حزم، ط1، لبنان، 2005.
- 10- حسن طبل: أسلوب الإلتفات، دار الفكر العربي، دط، نصر، القاهرة، 1998.
- 11- حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج، ط1، تونس، 1999.
- 12- الخطيب الفزويني: الايضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد الحميد هندواي، مؤسسة المختار، ط3، القاهرة، 2007.
- 13- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ط1، دمشق، 2004.
- 14- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط2، سطيف، الجزائر، 2012
- 15- ذهبية حمو الحاج: التداولية وإستراتيجية التواصل، دار رؤية، ط1، القاهرة، 2015.
- 1623- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، ط1، القاهرة، 2006.

- 17- الرازي محمد فخر الدين: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1983، ج.26.
- 18- الزركشي بدر الدين: المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، الكويت، 1992م.
- 19- سامية بن يامنة: الاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2012.
- 20- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن 2هـ بيناته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، ط1، 2001.
- 21- السكاكي محمد بن علي: مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1983.
- 22- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، تعليق سليمان صالح، دار المعرفة، ط2، بيروت لبنان، 1428 هـ، 2007 م.
- 23- صابر الحباشة: الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقرويني، الدار المتوسطة للنشر، ط1، تونس، 2009.
- 24- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، أدبيات الشركة المصرية العالمية، إشراف محمود علي، ط1، 1996.
- 25- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
- 26- عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع الاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب، ع3.
- 27- العسكري أبو هلال: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتب العصرية، صيدا، بيروت، 1986.
- 28- عبد القادر حسن: فن البلاغة، دار غريب، دط، القاهرة، 2006.
- 29- الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تعليق أبو فهر ومحمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط3 القاهرة، 1992م.

- 30- عبد النعيم خليل: السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء الإسكندرية، دت.
- 31- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الحديث، ط1، بيروت، لبنان، 2004.
- 32- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار الآفاق العربية، ط1، نصر القاهرة، 2006.
- 33- علي الجازم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار قباء الحديثة، ط1، القاهرة، 2011.
- 34- علي بن محمد الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، دار الطليعة للنشر والتوزيع، ط1، 2003.
- 35- علي محمود حجي الصراف: في البراغمانية الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010.
- 36- عرفات فيصل المناع: السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي مؤسسة السياب، ط1، الموصل، العراق، 2013.
- 37- عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع ط1، عمان، الأردن، 2012.
- 38- عيد بلبع: التداولية البعد الثالث في سيموطيقا موريس من اللساني إلى النقد الأدبي والبلاغة، ط1، القاهرة، 2009.
- 39- ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له مصطفى السويمي. مؤسسة بدران للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان، 1963.
- 40- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها علم المعاني، دار النفائس، ط12، عمان، الأردن، 2008.
- 41- الفيومي أحمد محمد بن علي: المصباح المنير: تحقيق يحي مراد، مؤسسة المختار، ط1، مصر، 2008.

- 42- قاطن بن جحي العنزي: التداولية في التفكير البلاغي، دراسة في غرر البلاغة، دار عالم الحديث، ط1، إربد الأردن، 2014م.
- 43- قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، دار عالم الكتاب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2012.
- 44- مسعود بودوخة مدخل إلى البلاغة العربية وعلومها، بيت الحكمة، ط1، سيطف، الجزائر، 2015.
- 45- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي اللساني، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2005.
- 46- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 47- محمد سالم ولد الأمين، الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، الكويت، 2000.
- 48- محمد عيد صالح السبهاني: الوجه البلاغي وأكره في السياق الشعري الأندلسي، دار غيداء، ط1، عمان، الأردن، 2013.
- 49- محمد محمد يونس: المعني وظلال المعني أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 2007.
- 50- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002.
- 51- ابن منظور: جمال بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، دط، بيروت.
- 52- مهدي إبراهيم الغويل: السياق وأثره في المعنى، أكاديمية لفكر الجماهيري، دط، بنغازي، ليبيا، 2011.

53- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2009.

54- نواري سعودي أبو زيد: ممارسات في النقد واللسانيات، بيت الحكمة، ط1، سطيف، الجزائر.

55- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، ط1، عمان، الأردن، 1427 هـ، 2007 م.

الرسائل الجامعية.

56- إيمان درنوني: الحجاج في النص القرآن، ماجستير، قسم اللغة العربية، وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة الجزائر، 2013. (مخطوط)

-باديس لهويل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي مذكرة ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر، 2011 – 2012. (مخطوط)

57- حامد ثقبايث: قضايا التداولية في دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2012. (مخطوط)

58- أم الخير سلفاوي: البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال مفتاح العلوم للسكاكي، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، 2009. (مخطوط).

59- سمية إيرير: مفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دراسة في ضوء علم المصطلح، ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2011. (مخطوط)

60- عبد السلام عابي المكون التداولي في المدونة الأصولية إتحاف ذوي البصائر و شرح روضة الناظر في أصول الفقه، لعبد الكريم النملة أنموذجاً، مذكرة ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014_2015 (مخطوط)

61- رحيمة شيتير:تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب أنموذجا،مذكرة دكتوراه،قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الحاج لخضر ،باتنة ،الجزائر ،2009.(مخطوط).

62-منال هاشم محمد سيد نجار :المقام في ضوء البراغماتية النظرية والتطبيق ،مذكرة دكتوراه في اللغة العربية ،كلية الدراسات العليا ،الجامعة الأردنية ،الأردن ،2004.(مخطوط)

المقالات :

63-باديس لهويمل : التداولية والبلاغة العربية ، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري جامعة محمد خيضر بسكرة ،الجزائر،2011.ع7.بن صالح مهدي الخفاجي

64-جميلة بكوش : حجاجية اللغة في الحوار القرآني ،مجلة فصل الخطاب ،مخبر الخطاب الحجاجي ،جامعة ابن خلدون ، تيارت، الجزائر،2013.ع7.

65- بن الدين بخولة : الحجاج في التداولية اللسانية ،مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي ،جامعة ابن خلدون ،تيارت ،الجزائر ،2013،ع3.

66-فوزية زيار : الخطاب الحجاجي في لافتات أحمد مطظر ، مجلة فصل الخطاب ،مخبر الخطاب الحجاجي ، جامعة ابن خلدون ،تيارت ، الجزائر ، 2013،ع3.

67- بن صالح مهدي الخفاجي : المتكلم وأثره في بناء القاعدة النحوية في كتاب سبويه، مجلة كلية الآداب ،جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ،ع97.

68-قوتال فضيلة وقعموسي عبد القادر :أسس العملية التخاطبية، بين البلاغة العربية والنظرية التداولية ،مجلة فصل الخطاب ،مخبر الخطاب الحجاجي ،جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر،2013،ع3

69-محمد سالم ولد الأمين :الحجاج عند بيرلمان،وتطوره في البلاغة المعاصرة ،عالم الفكر، الكويت ،2000،ع3،مج 28

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة.....	أ - ج
تمهيد	
علاقة التداولية بالبلاغة العربية.....	5- 9
الفصل الأول : عناصر العملية التواصلية في البلاغة العربية	
- المتكلم في البلاغة العربية.....	11
● لغة.....	11
● اصطلاحا.....	11
- السامع في البلاغة العربية.....	15
● لغة.....	15
● اصطلاحا.....	16
- مقتضى الحال في البلاغة العربية.....	20- 25
- الخطاب في البلاغة العربية.....	25- 28
الفصل الثاني : مداخل التداولية في البلاغة العربية	
- مقصدية المتكلم و أثرها في دورة التواصل.....	30-32
- الأبعاد التداولية للمتكلم و السامع في علمي المعاني و البيان.....	33- 43
1. علم المعاني.....	33-37
2. علم البيان.....	37-43
● دور السياق في توليد المعنى بين المتكلم و السامع.....	44-48
- السياق لغة.....	44
- اصطلاحا.....	44
- أقسامه.....	4- 45

- عناصره46 .
- أنواعه48-47 .
- الحجاج و دوره في تقوية الأسلوب بين المتكلم و السامع52-48 .
- الحجاج لغة49 .
- الحجاج اصطلاحا49 .
- عناصر العملية الحجاجية50 .
- مبادئ التخاطب51- 50 .
- الخاتمة53 .
- مكتبة البحث56 .
- فهرس الموضوعات63 .

الملخص :

تتناول هذه الدراسة المتكونة من مقدمة و تمهيد و فصلين و خاتمة " المتكلم و السامع " في البلاغة العربية و ذلك وفق المنهج التداولي الذي يعنى هو الآخر بالكلام أو الخطاب و مستعمليه و جميع الظروف المحيطة بالحدث الكلامي و المشاركة فيه .

و قد تناولنا عناصر العملية التواصلية في الفصل الأول و ربطناها بالبلاغة العربية التي أولتهم الأهمية البالغة و هذه العناصر هي (المتكلم و السامع و المقام و الخطاب).

كما تناولنا في الفصل الثاني التداولية و مداخلها في البلاغة العربية و أثرها على علمي المعاني و البيان، و أشرنا إلى الأبعاد التي تجسدها التداولية و المتمثلة في المقصدية و أفعال الكلام و السياق و الحجاج .

و توصلنا في الأخير إلى كشف أشكال التعلق الوظيفي بين كل من المتكلم و السامع.

Résumé :

Dans cette recherche constituée d'une introduction ; d'un préambule et de deux parties, intitulé : «le destinateur et le destinataire dans la réthorique arabe ».

En basée sur l'approche pragmatique qui s'intéresse lui aussi à l'énonciation et /ou discours, à ses utilisateur ainsi qu'au contexte de la parole et la participation à cette dernière.

Dans le premier chapitre, nous avons traité des éléments de la communication que nous avons rapportés à la rhétorique arabe qui leurs a accordés une grande importance, Ces éléments sont : «émetteur récepteur, référent et discours » .

Dans le second chapitre, nous avons traité de la pragmatique et ses accès à la rhétorique arabe, ainsi que ses effets sur la sémantique et la rhétorique. comme nous y avons traité des démentions que concrétise la pragmatique qui sont, l'intention, l'action du verbe, le contexte et l'argumentation .

En conclusion, nous sommes arrivés à déterminer les formes d'inter-indépendance fonctionnelle entre l'émetteur et le récepteur.